بشرية المسيح (عليه السلام) ونقض شبهات النصارى في ألوهيته

د. أحمد معاذ علوان حقي(*)

(*) أستاذ مشارك بقسم أصول الدين - كلية الشريعة - جامعة الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة.

ملخص البحث:

هذا البحث يُبَيِّن هيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة، فقد بيَّنَ القرآن الكريم أن المسيح – عليه السلام – إنسان أوحى الله إليه بوحي، وفنَّد قول النصارى بألوهيته، وقد قسم الباحث البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول: بشرية المسيح – عليه السلام –، أكد على هذه الحقيقة من خلال الدلائل العقلية، ونصوص الإنجيل، وعقائد الفرق النصرانية في القرون الأولى، وأن هذه العقيدة ليست عقيدة أتباع المسيح – عليه السلام –، وإنما هي نتيجة تحريف النصرانية.

المبحث الثاني: أورد شبهات النصارى في القول بألوهية المسيح – عليه السلام – ثم قام بالرد عليها وبَيَّنَ بطلانها من وجوه عدة من خلال العقل، ونصوص العهد القديم والعهد الجديد.

خاتمة البحث: ذكر فيها الباحث أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

مقدمة:

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وخليله المجتبى، وعلى آله وصحبه النجباء ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين .... وبعد:

فكلما أُرِيد تعظيم إنسان في الأرض صغر الله أمامه – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً –، والإنسان يستغرب من هذا الانحطاط الفكري عند الشعوب الجاهلية الوثنية حين تبالغ في رفع مقام أشخاص إلى مقام الألوهية، مع كونهم لا يختلفون عن البشر من حيث أنهم يأكلون ويشربون، وينامون ويمرضون، ويموتون، ويزول الإشكال عندما نعلم أن العصمة في اتباع منهج الله عز وجل، قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: "تضمن الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣][١].

ومن الأمثلة على هذا الانحراف الخطير في الفكر الإنساني القول بألوهية المسيح – عليه السلام –، فقد استطاع بولس[٢] بدهائه الماكر أن يحرف ديانة المسيح – عليه السلام – – الإسلام – فجعلها ديانة وثنية، ونشر فكرة بنوة المسيح – عليه السلام – – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً –، إلا أن الله تعالى أبقى – بمَنِّه وكرمه – من الدلائل والشواهد في الأناجيل الحالية – مع ما أدخل فيها من تحريف – ما يدل على أن المسيح – عليه السلام – هو عبد الله ورسوله، أرسله إلى بني إسرائيل.

وتكمن أهمية الموضوع في بيان هيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

---

(١) رواه الطبري، (تفسير الطبري) رقم (٢٤٤٠٠)، ٨/ ٤٧٩.

(٢) راجع (معالم تاريخ الإنسانية) ويلز: ٣/ ٧٠٥، و(الله واحد أم ثالوث) محمد مجدي مرجان: ص ٧٠. ٧١.

وقد أورد علماؤنا – رحمهم الله تعالى– الأدلة على بشرية المسيح – عليه السلام – في مصنفاتهم في الرد على النصارى، وممن توسع في هذه المسألة الإمام الغزالي في كتابه (الرد الجميل على إلهية المسيح) والشيخ عبد الرحمن الباجه جي زاده في كتابه (الفارق بين المخلوق والخالق)، ومن المعاصرين: محمد مجدي مرجان في كتابه (المسيح إنسان أم إله)، وقد قمت بتقسيم البحث إلى مبحثين:

الأول: بشرية المسيح عليه السلام.

والثاني: نقد أهم شبهات النصارى في ألوهية المسيح عليه السلام.

منهج البحث: ونعالج البحث – إن شاء الله تعالى – بطريقة علمية منهجية تنهج منهجاً تحليلياً مقارناً، فهو يستند إلى تحليل النصوص وتصنيفها وترتيبها حسب الموضوعات، وهو – أيضاً – منهج مقارن نورد ما جاء في العهد الجديد ونوازن بين نصوصه ونصوص القرآن الكريم؛ لنؤكد أن العهد الجديد – مع ما أدخل فيه من التحريف – في أغلب نصوصه لم يخرج عمَّا جاء به القرآن الكريم، ولم يقتصر منهجنا على المنهج الوصفي بل تعداه إلى المنهج النقدي وذلك بنقد أهم شبهات القوم فيما تمسكوا به من معتقدات بألوهية المسيح.

والله أسأل أن يرزقني التوفيق والسداد، ويجنبني الزلل إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول
بشرية المسيح – عليه السلام –

أكَّد القرآن الكريم أن المسيح – عليه السلام – خلق من خلق الله تعالى، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف]، ولن يستكبر المسيح – عليه السلام – عن أن يكون عبداً لله تعالى، ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء]، وأعلن السيد المسيح – عليه السلام – أنه عبد لله تعالى، ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [مريم]، ودعا إلى عبادته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران].

المطلب الأول
الأدلة العقلية على بشرية المسيح – عليه السلام –

جاء في الأثر عَنِ الرَّبِيعِ في "قَوْله: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران]، قَالَ: إِنَّ النَّصَارَى أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ، فَخَاصَمُوهُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَقَالُوا: مَنْ أَبُوهُ ؟ فَقَالُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَالْبُهْتَانَ، لا إِلَهَ إلا اللهُ لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: (أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا قَيِّمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَكْلأُهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَرْزُقُهُ ؟)، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: (فَهَلْ يَمْلِكُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً ؟)، قَالُوا: لا، قَالَ: (أَفَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ؟)، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ يَعْلَمُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً إِلا مَا عُلِّمَ ؟)، قَالُوا: لا، قَالَ: (فَإِنَّ رَبَّنَا صَوَّرَ عِيسَى فِي الرَّحِمِ كَيْفَ يَشَاءُ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا لا يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَلا يَشْرَبُ الشَّرَابَ وَلا يُحْدِثُ الْحَدَثَ؟)، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: (أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَى حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَمَا تَحْمِلُ الْمَرْأَةُ ثُمَّ وَضَعَتْهُ كَمَا تَضَعُ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا، ثُمَّ غُذِّيَ كما يغذى الصَّبِيُّ، ثُمَّ كَانَ يُطْعَمُ الطَّعَامَ، وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ وَيُحْدِثُ الْحَدَثَ ؟)، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: (فَكَيْفَ يَكُونَ هَذَا كَمَا زَعَمْتُمْ؟)،

فَعَرَفُوا ثُمَّ أَبَوْا إلا جُحُوداً، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾"[١].

إذاً فالعقل والمنطق السليمان يدلان دلالة قاطعة على أن عيسى – عليه السلام – خَلْق مِن خلق الله تعالى، وأهم الأدلة العقلية على بشرية المسيح – عليه السلام – هي:

١ – إن الربوبية تستلزم الألوهية، فلما كان الله عز وجل هو الخالق الرازق فلا يرضى أن يُشْرك معه أحد، كما لا يرضى ملوك الأرض بالشريك في المُلك، وعظمته المطلقة تتطلب غناه عن ما سواه، فكيف يرضى أن يكون المسيح – عليه السلام – شريكاً له في ألوهيته، وفي الحديث القدسي: (قَال اللهُ عز وجل: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لي عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ للذِي أَشْرَكَ)[٢]، وقد أشار – عليه السلام – كما جاء في الإنجيل إلى أن الله عز وجل هو أعظم منه: "سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ: أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ، لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ؛ لأَنِّي قُلْتُ: أَمْضِي إِلَى الآبِ، لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي"[٣].

٢ – الصفات التي يتصف بها المسيح – عليه السلام – كما جاء في الأناجيل هي صفات بشرية مثل: الولادة – فهذا يعني أنه حَدَثَ بعد أن لم يكن، وكل من كان كذلك كان مخلوقاً – والنوم[٤]، – فهل يصح أن ينام الإله ويغفل عن الكون، فمن يُسيِّره إذاً!؟ – والتعب[٥]، والصحة والمرض، والحزن[٦]، والبكاء[٧]، وكان يعتريه سائر الأعراض البشرية،

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره: سورة آل عمران، ح(٣١٧٣)، إسناده ضعيف ويحسن إذا توبع، رجاله ثقات.
(٢) رواه ابن ماجه في سننه: الزهد/٢١، ح (٤٢٠٢)، ٢/١٤٠٥ في الزوائد إسناده صحيح رجاله ثقات.
(٣) (يوحنا) ١٤: ٢٨.
(٤) راجع (متى) ٨: ٢٣ – ٢٥.
(٥) راجع (يوحنا) ٤: ٦.
(٦) راجع (متى) ٢٦: ٣٨.
(٧) راجع (لوقا) ٢٢: ٤٢، وراجع (لوقا) ١٩: ٤١، و(يوحنا) ١١: ٣٣– ٣٥.

وهذا دليل على بشريته وفقره وضعفه، فكان يلتجئ إلى الله تعالى في حالة السراء والضراء، ويسجد له، ويستعين به عند الشدائد، بل كان محتاجاً أن يركب الحمار[١]، وهذا دليل على عجزه وفقره؛ والإله الحق غني عن ما سواه، فهو الصمد.

وقد أشار بولس أن المسيح خلق من ضعف، فمن كان هذا شأنه فكيف يكون إلهاً وخالقاً! "لأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ صُلِبَ مِنْ ضَعْفٍ، لكِنَّهُ حَيٌّ بِقُوَّةِ اللهِ"[٢]، وهذا صريح أن المسيح - عليه السلام - يحيا بقوة الله لا بقوته، ومن كان مفتقراً في حياته إلى غيره ليس إلهاً، فالإله الحق قائم بنفسه، مقيم لغيره، إذاً فالقول بإلهية المسيح - عليه السلام - مع كونه يتصف بهذه الصفات والأحوال المحدثة - يفضي إلى معضلة كبيرة وهي القول بقدم العالم؛ لأن الصفات التي يتصف بها المسيح - عليه السلام - هي صفات المحدثين[٣]، جاء في قاموس الكتاب المقدس: وفق (إنجيل لوقا) أن حياة يسوع من طفولته إلى شبابه كانت حياة عادية[٤].

٣ - كون المسيح - عليه السلام - كان يأكل الطعام، وهذا يعني أنه محتاج، والإله الحق غني عن ما سواه، فكيف يعقل أن يكون إلهاً[٥]، ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة]، جاء في (إنجيل متى): "جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ»[٦].

---

(١) راجع (متى) ٢١: ١- ٣.
(٢) (رسالة بولس إلى أهل إغلاطية ١) ١٣: ٤.
(٣) راجع (من النماذج الرفيعة للدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين جواب القاضي أبي الوليد الباجي على رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين) محمد عبد الله الشرقاوي: ص ١١٤-١٢١، مقال ضمن مجلة (هذه سبيلي).
(٤) ص ٨٦٥.
(٥) راجع (التفسير الكبير) الرازي: ٤/ ٤٠٩.
(٦) ١١: ١٩.

٤ – إن لله عز وجل الأسماء الحسنى والصفات العليا، ومنها: صفة العلم الكامل، بينما المسيح – عليه السلام – لا يعلم إلا ما علمه الله عز وجل، وقد أشار – عليه السلام – – بحسب ما جاء في الإنجيل – إلى أن علم الساعة مما لا يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ولا حتى هو: «وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الابْنُ، إِلَّا الآبُ "[1]، فكيف يكون من هو جاهل بعلم الساعة إلهاً !؟.

والأعظم من هذا أن المسيح – عليه السلام – في معتقدهم كان يظن أنه ابن يوسف النجار حتى بلغ الثلاثين، ثم علم أنه الإله ابن الإله: "وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ، بْنِ هَالِي "[2]، نعوذ بالله من جهل يجعل النبي إلهاً لا يعرف نسبه[3].

٥ – قال الفخر الرازي: "إما أن يقال: بأن الإله هو هذا الشخص الجسماني المشاهد، أو يقال: حَلَّ الإله بكليته فيه، أو حَلَّ بعض الإله وجزء منه فيه، والأقسام الثلاثة باطلة.

أما الأول: فلأن إله العالم لو كان هو ذلك الجسم، فحين قتله اليهود كان ذلك قولاً بأن اليهود قتلوا إله العالم، فكيف بقي العالم بعد ذلك من غير إله! ثم إن أشد الناس ذلاً ودناءة اليهود، فالإله الذي تقتله اليهود إله في غاية العجز!

وأما الثاني: وهو أن الإله بكليته حَلَّ في هذا الجسم، فهو أيضاً فاسد؛ لأن الإله لم يكن جسماً ولا عرضاً امتنع حُلوله في الجسم، وإن كان جسماً فحينئذ يكون حلوله في جسم آخر عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم؛ وذلك يوجب وقوع التفرق في أجزاء ذلك الإله، وإن كان عرضاً كان محتاجاً إلى المحل، وكان الإله محتاجاً إلى غيره، وكل ذلك سخف.

وأما الثالث: وهو أنه حل فيه بعض من أبعاض الإله، وجزء من أجزائه؛ فذلك

---

(١) (مرقس) ١٣: ٣٢. وراجع (متى) ٢٤: ٣٦.

(٢) (لوقا) ٣: ٢٣.

(٣) راجع (الفارق بين المخلوق والخالق) عبد الرحمة الباجه جي: ص ٢٥.

– أيضاً – محال؛ لأن ذلك الجزء إن كان معتبراً في الإلهية فعند انفصاله عن الإله وجب أن لا يبقى الإله إلهاً، وإن لم يكن معتبر في تحقق الإلهية لم يكن جزأ من الإله، فثبت فساد هذه الأقسام، فكان قول النصارى باطلاً"[١].

٦ – لا يمكن لبشر أن يرى الله عز وجل في الدنيا، والمسيح – عليه السلام – رآه خلق كثير وتحدثوا معه، فيلزم أن لا يكون إلهاً[٢]، وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي، لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلاَ أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ"[٣]، وأكد هذه الحقيقة يوحنا فقال: "اللهُ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ قَطُّ"[٤]، ويقول بولس: "الْوَحِيدُ: مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ ... الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ"[٥]، وهذه الحقيقة أكدتها التوراة، فقد بيَّنت أن موسى – عليه السلام – طلب من الله عز وجل أن يراه أجابه الله سبحانه وتعالى: «لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي؛ لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ»[٦].

٧ – ظهور الجزع على المسيح – عليه السلام – دليل على بشريته: "وَخَرَجَ وَمَضَى كَالْعَادَةِ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، .... وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ». وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ. وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ"[٧]، وكان يخاف – عليه السلام – من أعدائه فيهرب منهم وفق إنجيل يوحنا[٨]، وهذا شأن المخلوق، "أقول: يا هل ترى من يكون اضطرابه وحاله وتضرعه إلى الله بهذه الدرجة ويحتاج إلى ملك يقويه كيف يتصور فيه الألوهية أو ربوبية"[٩]، والإله الحق رب العالمين لا يلحقه خوف ولا خشية ولا جزع.

---

(١) (التفسير الكبير): ٣/ ٢٤٦.
(٢) راجع (اسم نبي الإسلام) السقا: ص ٨.
(٣) (يوحنا) ٥: ٣٧.
(٤) (رسالة يوحنا الرسول الأولى) ٤: ١٢.
(٥) (رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموثاوس) ٦: ١٥– ١٦.
(٦) (الخروج) ٣٣: ٢٠.
(٧) (لوقا) ٢٢: ٣٩ – ٤٤.
(٨) راجع (يوحنا) ٨: ٥٩.
(٩) (الفارق بين المخلوق والخالق) عبد الرحمن الباجه جي: ص ٣٥٣.

٨ – تعميد المسيح – عليه السلام – من قبل يحيى – عليه السلام – دليل على أنه بشر مخلوق، فلو كان إلهاً لما احتاج إلى التطهير[١]: "حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا؛ لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ ... فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ ..."[٢]، فهل يعقل أن يقوم مخلوق الذي هو يحيى – عليه السلام – بتعميد الإله، فهل يستكمل البر الذي هو التعميد من مخلوق!؟.

أصدر ثمانية من علماء اللاهوت في بريطانيا كتاباً سموه (المسيح ليس ابن الله) قالوا: إن إمكانية تحول الإنسان إلى إله لم تعد بالشيء المعقول والمصدق به هذه الأيام، ونَبَذَ كثيرٌ من المفكرين الغربيين عقيد ألوهية المسيح حتى قال (جاك بوهييه): إن من الحماقة القول إن الله قد جعل نفسه بشراً[٣]، ويقول (توماس أكمبس) في كتابه (على خطى المسيح): "إذا كان المسيح إلهاً فإن المرء لا يستطيع اقتفاء أثره، والسير على نهجه"[٤].

المطلب الثاني
الأدلة على بشرية المسيح – عليه السلام – من خلال الإنجيل

تقرر الأناجيل الحالية بنصوص محكمة واضحة أن المسيح – عليه السلام – عبد الله ورسوله، ولم أجد من الأنبياء من أَكَّدَ على بشريته مثله – عليه السلام –، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وقد جمع الفيلسوف السويسري (بولس شميل) مجموعة من النصوص من الأناجيل تؤكد على بشرية المسيح – عليه السلام –، وكشف وثيقة نصرانية قديمة نشرت في جريدة (التايمز) في ١٥ يوليو ١٩٦٦م تقول: إن مؤرخي الكنيسة يسلمون أن أكثر أتباع

(١) معمودية طقس الغسل بالماء رمزًا للنقاوة وعلامة على التطهير من الخطيئة والنجاسة، راجع (قاموس الكتاب المقدس): ص ٦٣٧.
(٢) (متى) ٣: ١٣– ١٧.
(٣) راجع (محمد رسول الله في الكتب المقدسة) سامي عامر: ص ١٥٢ – ١٥٣.
(٤) (طائفة الموحدين) أحمد عبد الوهاب: ص ٤٥.

المسيح في السنوات التالية لوفاته اعتبروه مجرد نبي آخر لبني إسرائيل[١] وأهم الدلائل على بشريته – عليه السلام – من الأناجيل:

١ – **نسب المسيح – عليه السلام –**: ينسب النصارى المسيح – عليه السلام – إلى يوسف النجار فهذا يعني أنه إنسان وليس إلهاً، وتسوق الأناجيل نسبه من جهة يوسف النجار إلى داود حتى آدم – عليهما السلام –[٢] وكان بعضهم يناديه بابن داود وفق ما جاء في الأناجيل[٣]، يقول محمد مجدي مرجان – القس المهتدي –: "ولكن هؤلاء الكتاب قد وقعوا هنا في مأزق عجيب، بل في تناقض صارخ، فبينما يقررون أن عيسى ولد من مريم دون أن يَمسَّها رجل، يعودون فيقررون – جرياً وراء أسطورة المسيح المخلص – أن عيسى من نسل داود، ولو كان عيسى ينتسب إلى داود من جهة أمه مريم لكان أمراً من الممكن قبوله، أي لو كانت مريم من ذرية داود لكانت نسبة عيسى إلى داود أمراً مفهوماً، ولكن الدهشة تعلو وجوهنا عندما نراهم يربطون بين عيسى وداود عن طريق يوسف النجار"[٤].

٢ – **صَرَّحَ المسيحُ – عليه السلام – بأنه إنسان:** جاء في صريح الإنجيل أنه إنسان: "أَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ"[٥]، جاء في قاموس الكتاب المقدس: "ويوجد في الأربعة الأناجيل ثمانية وسبعون مثلاً يستخدم فيها يسوع المسيح هذه العبارة (ابن الإنسان) عن نفسه"[٦]، ويحدثنا الكاتب (أميل لودفيج) عن تصور المسيح – عليه السلام – لنفسه فيقول: "لم يفكر يسوع في أنه أكثر من نبي، وليس

(١) راجع (محمد رسول الله ﷺ في الكتب المقدسة) سامي عامر: ص ١٥٧.
(٢) راجع (متى)١: ١٦.
(٣) راجع (متى) ٩: ٢٧، وراجع ١٥: ٢٢، و٢٠:٣٠ –٣١، و(مرقس)١٠: ٤٧– ٤٨، و(لوقا) ١٨: ١٨: ٣٨– ٣٩.
(٤) (المسيح إنسان أم إله): ص ٢٤.
(٥) (يوحنا) ٨: ٣٩ –٤٠. وراجع (لوقا) ٩: ٥٦.
(٦) ص ١٢٤.

بقليل أن يرى نفسه في بعض الأحيان دون النبي، ولم يحدث أبداً من يسوع ما يخيل به إلى السامع أن له خواطر وآمالاً فوق خواطر البشر وآمالهم، وما كان يسوع ليذهب إلى أبعد من ذلك فيدعي أنه المنقذ المنتظر، فإذا ما قال الناس: إنه أحد قدماء الأنبياء راقه ذلك موجهاً أفكارهم إلى ملكوت السموات، والآن يجد يسوع كلمة جديدة صالحة للتعبير عن تواضعه بقوله عن نفسه: إنه (ابن الإنسان)، وقديماً أراد الأنبياء أن يلفتوا الأنظار إلى الهوة الواسعة التي تفصلهم عن الله، فكانوا يسمون أنفسهم بأبناء الإنسان، ومن هؤلاء دانيال، وحزقيال اللذان أظهرا الرب مخاطباً كل واحد منهما (بابن الإنسان) أي بآدمي ضعيف هالك ولد ليفنى، ولكن مع استعداد لنيل عفو الرب"(١)، ويقول محمد مجدي مرجان: وكان "يحرص عيسى طوال أحاديثه مع الناس أن يدعو نفسه بهذا اللقب (ابن الإنسان)، ويتكرر هذا الوصف لنفسه على لسانه في كافة الأناجيل"(٢).

٣ - **أكد المسيح - عليه السلام - أنه صاعدٌ إلى إلهه:** صرح المسيح - عليه السلام - بأنه صاعد إلى إلهه، وهذا يعني أنه مَرْبُوب، وليس إلهاً: "إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ»(٣).

٤ - **قول المسيح - عليه السلام - إنه رسول من الله تعالى:** المسيح صرح في مواضع أنه رسول من الله تعالى، فهذا يدل على أنه إنسان وليس إلهاً: "هذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ"(٤)، فلم يدَّعِ المسيح سوى أنه عبد مرسل من الله تعالى، وأكد - عليه السلام - للمجمع اليهودية على نعته المذكور في كتبهم، وأنه نبي من أنبياء بني إسرائيل: "وَلَمَّا كَانَ الْعِيدُ قَدِ

(١) (ابن الإنسان) ترجمة عادل زعيتر: ص ٩٥، نقلاً عن (المسيح إنسان أم إله): ص ١٧٨.

(٢) (المسيح إنسان أم إله): ص١٧٧ - ١٧٨.

(٣) (يوحنا) ٢٠: ١٧.

(٤) (يوحنا) ١٧: ٣.

انْتَصَفَ، صَعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْهَيْكَلِ، وَكَانَ يُعَلِّمُ. فَتَعَجَّبَ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: «كَيْفَ هذَا يَعْرِفُ الْكُتُبَ، وَهُوَ لَمْ يَتَعَلَّمْ؟» أَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ:«تَعْلِيمِي لَيْسَ لِي بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي»(١).

٥ - **دعا المسيح - عليه السلام - إلى إفراد الله تعالى بالعبادة:** كان - عليه السلام - يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والتوجه إليه وحده بالصلاة والدعاء، وهذا دليل قاطع على أنه ليس إلهاً: «فَصَلُّوا أَنْتُمْ هكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ"(٢)، كما أنه - عليه السلام - كان قائماً بأوراد العبادات لله تعالى أتمَّ قيام، ولما "ثبت بالتواتر أن عيسى - عليه السلام - كان عظيم الرغبة في العبادة والطاعة لله تعالى، ولو كان إلهاً لاستحال ذلك، لأن الإله لا يَعْبُد نفسَه"(٣)، وإذا كان المسيح - عليه السلام - الإله الحق الذي يجب أن يُعْبَدَ وقد صَرَفَ الناسَ عن عبادته باعتباره الإله الحق فذلك غش وضلالة، ولا يليق بمن يُدَّعى فيه أنه أتى لخلاص العالم، بل لا يليق بمن انتصب للإرشاد والهداية من آحاد الأمم، فضلاً عن من صرَّح بأنه رسول هادٍ مرشد(٤).

٦ - **صلب المسيح - عليه السلام - بزعمهم دليل على بشريته:** إن صلب المسيح - عليه السلام - بزعمهم وجزعه وموته أكبر دليل على أنه إنسان، يقول الغزالي: "المسيح صُلب، ولا شيء مما صلب بإله، فلا شيء من المسيح بإله"(٥)، ولقد أظهر المسيح - عليه السلام - بزعمهم جزعاً شديداً مع أن الأنبياء الذين سبقوه تلقوا الموت بثبات ورضى، وتروي الأناجيل قوله عند الصلب: "نَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ

---

(١) (يوحنا) ٧: ١٤- ١٧.
(٢) (متى) ٦: ٩- ١٠.
(٣) (التفسير الكبير) الفخر الرازي: ٣/ ٢٤٦.
(٤) راجع (الرد الجميل) الغزالي: ص ٤٠.
(٥) (الرد الجميل): ص ٦٢.

يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟"[1]، وهو كلام منافٍ للتسليم بأمر الله تعالى، بينما الأنبياء الذين سبقوه تلقوا الموت بثبات ولم يجزعوا مع أنهم عبيد لله تعالى والمسيح بزعمهم إله.

قال الرازي في الرد على النصراني الذي زعم التحقيق والتعمُّق في الديانة النصرانية: "إنكم تعترفون بأن اليهود أخذوه وصلبوه وتركوه حياً على الخشبة، وقد مزقوا ضلعه، وأنه كان يحتال في الهرب منهم، وفي الاختفاء عنهم، وحين عاملوه بتلك المعاملات أظهر الجزع الشديد، فإن كان إلهاً، أو كان الإله حالاً فيه، أو كان جزءاً من الإله حالاً فيه، فلِمَ لَمْ يدفعهم عن نفسه؟ ولِمَ لَمْ يُهلكهم بالكلية؟ وأي حاجة به إلى إظهار الجزع منهم والاحتيال في الفرار منهم! وبالله أنني لأتعجب جداً! إن العاقل كيف يليق به أن يقول هذا القول ويعتقد صحته، فتكاد أن تكون بديهة العقل شاهدة بفساده"[2]، ومن جهة أخرى فإن استغاثته – عليه السلام – – بزعمهم – ينفي ألوهيته؛ فهو دليل ضعفه وعجزه عن خلاص نفسه، ولا يصح أن يكون العاجز والضعيف إلهاً!؟.

٧ – **كان المسيح – عليه السلام – يظهر فقره إلى الله تعالى:** كان المسيح – عليه السلام – ينسب جميع معجزاته إلى الله تعالى، ويظهر عجزه وافتقاره إليه في كل مجمع، وأن ما يقوله ويقوم به هو بأمر منه سبحانه وتعالى: "مَنْ رَذَلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلاَمِي فَلَهُ مَنْ يَدِينُهُ. اَلْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ، لأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ. وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ وَصِيَّتَهُ هِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. فَمَا أَتَكَلَّمُ أَنَا بِهِ، فَكَمَا قَالَ لِي الآبُ هكَذَا أَتَكَلَّمُ»[3].

يقول الشيخ عبد الرحمن الباجه جي زاده: "لا أظن أن نبياً من الأنبياء

(١) (متى) ٢٧: ٤٦.
(٢) (التفسير الكبير) الفخر الرازي: ٣/ ٢٤٦.
(٣) (يوحنا) ١٢: ٤٨– ٥٠.

برأ نفسه من القدرة والمشيئة بمقدار ما صرح وكرر به عيسى – عليه السلام – وكان أمر الله قدراً مقدوراً"(١).

وكان – عليه السلام – يدعو الله تعالى في الملمات: "وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ، لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي"(٢).
وفي كل موقف يؤكد المسيح – عليه السلام – أنه عبد لله تعالى، ويطيعه ويطلب رضاه سبحانه وتعالى: "لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ»(٣).

٨ – **المسيح – عليه السلام – يعلن أنه مثل حواريه من حيث كونه عبداً لله تعالى:** أعلن السيد المسيح – عليه السلام – أنه مثل حواريه من حيث كونه عبداً لله تعالى: "قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي. وَلكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ»"(٤)، "وعندما يقول المسيح: إني ذاهب إلى أبي وأبيكم فيكون قد سوى بين نفسه وبين غيره في الأبوة؛ لأن المراد بها أن الله تعالى يحسن لخلقه إحسان الآباء للأبناء بل أشد، وهذا مشترك بين عيسى – عليه السلام – وبين الخلق"(٥)، فإذا كان المسيح – عليه السلام – مثل تلامذته في كون أن الله تعالى هو إلهه وإله حواريه فكيف يكون إلهاً أو ابن الإله على الحقيقة!؟.

٩ – **الله عز وجل عَلَّم المسيح – عليه السلام – الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين:** أعلن المسيح – عليه السلام – بكل وضوح في يوم العيد وعلى مرأى من الجميع أن ما يعلمه من كتب الأنبياء السابقين لم يعلمه من تلقاء نفسه، بل الله عز وجل هو الذي علّمه: "صَعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْهَيْكَلِ، وَكَانَ يُعَلِّمُ. فَتَعَجَّبَ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: «كَيْفَ هذَا يَعْرِفُ الْكُتُبَ، وَهُوَ

---

(١) (الفارق بين المخلوق والخالق): ص ٣٤٩.
(٢) (يوحنا)١١: ٤١– ٤٢.
(٣) (يوحنا) ٨: ٢٩.
(٤) (يوحنا) ٢٠: ١٧.
(٥) (الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة) القرافي: ص ١٤٢.

لَمْ يَتَعَلَّمْ؟» أَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ:«تَعْلِيمِي لَيْسَ لِي، بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي» "[1]، فكما هو معلوم أن التوراة كانت قد فقدت منذ زمن بعيد، ومعرفة المسيح - عليه السلام - لما جاء في كتب الأنبياء السابقين كانت مدعاة استغراب الكهنة، وقد أخبر الله تعالى في محكم كتابه أنه علّمه ذلك، قول تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران]، ولا يمكن أن يكون من يستمد علمه من غيره أن يكون إلهاً، وكان المسيح ينسب جميع ما يعلمه إلى الله عز وجل: "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «...وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي»[2].

١٠- **المسيح - عليه السلام - كان يفرق بينه وبين الله تعالى:** كان المسيح - عليه السلام - يفرق بينه وبين الله تعالى، ولم يترك عذراً لمعتذر إذ بيَّن لهم التوحيد الخالص وأرشدهم إليه، وبين لهم مكانته: "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ، وَأَنْتُمْ جَمِيعاً إِخْوَةٌ. وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَباً عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَلاَ تُدْعَوْا مُعَلِّمِينَ، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ "[3].

وكان يفرق بين إرادته وإرادة الله سبحانه وتعالى، ويسعى لتحقيق مراد الله تعالى: "وَقَالَ: «وَلكِنْ لِيَكُنْ لاَ مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ»[4]، ويبيِّن أن الله عز وجل هو العظيم: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلاَ رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ. إِنْ عَلِمْتُمْ هذَا فَطُوبَاكُمْ إِنْ عَمِلْتُمُوهُ "[5].

١١- **تعرض المسيح - عليه السلام - لإغواء إبليس اللعين:** تعرض الشيطان للسيد المسيح - عليه السلام - محاولاً إغواءه، وعرض عليه ملك العالم

---

(١) (يوحنا) ٧: ١٤- ١٦.
(٢) (يوحنا) ٨: ٢٨.
(٣) (متى) ٢١: ٨ - ١١.
(٤) (مرقس) ١٤: ٣٦.
(٥) (يوحنا) ١٣: ١٦- ١٧.

إذا هو سجد له، وهذا أقوى دليل على بشريته – عليه السلام –: "ثُمَّ أَخَذَهُ –أَيْضاً– إِبْلِيسُ إِلَى جَبَل عَال جِدّاً، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي». حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ، وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ»[١]، إذا كان المسيح – عليه السلام – هو الإله الحق فكيف يجرؤ (إبليس) اللعين أن يطلب من الإله الحق أن يسجد له !؟ وهل يصح عقلاً ومنطقاً أن يجرأ الشيطان – الذي لا يملك شيئاً – على الإله – الذي له ملك السماوات والأرض – ويعرض عليه جزءاً من ملكه مقابل أن يسجد له الإله !؟ وجواب المسيح – عليه السلام – ينبئ أنه عبد لله تعالى، وينفي الألوهية عن ما سوى الله تعالى، ومن ثم فإن هذه القصة تهدم كل ما ذهب إليه النصارى من ألوهية المسيح – عليه السلام –.

قال ابن حزم: ولا يخلوا من أن يكون قاده فانقاد له مطيعاً سامعاً فما نراه إلا منصرفاً تحت حكم الشيطان، وهذه منزلة رذيلة جداً، أو يكون قاده كرهاً فهذه منزلة المصروعين الذين يتخبطهم الشيطان من المس، حاشى للأنبياء من كلتا الصفتين، فكيف إله وابن إله بزعمهم؟! ثم الطامة الأخرى كيف يطمع إبليس أن يسجد له خالقه! والله إني لأقطع أن كفر إبليس وحمقه لم يبلغا –قط– هذا المبلغ، ثم عجب آخر كيف يُمنّي إبليس رب الدنيا وخالقها ومالكها في أن يملكه زينة الدنيا؟![٢].

ومن الغريب أن النصارى يدافعون عن هذا الموقف فيقولون: إن إبليس كان يخاطب الناسوت، وأن يسوع كان يخاف ويتألم ويجوع ويعطش بناسوته دون لاهوته، ويرد عليهم ابن حزم بقوله: "أنتم تقولون في كل هذا فعل المسيح وقال المسيح، والمسيح عندكم طبيعتان ناسوتية ولاهوتية، وعند اليعقوبية منكم طبيعة واحدة، وكلكم تقولون: إن اللاهوت اتحد بالناسوت فأنتم كذبتم ... وأنتم أضفتم كل هذا إلى اللاهوت، وإنما

---

(١) (متى) ٤: ٨ – ١٠.

(٢) راجع (الفصل في الملل والنحل): ٢/ ١٧.

كان الحق على أصلكم هذا الملعون أن تقولوا: فعل نصف المسيح، وقال نصف المسيح، وخاطب نصف المسيح، فعلى كل حال قد كذبتم"[1].

١٢- لما كانت شريعة موسى - عليه السلام - هي الواجبة الاتباع وفق نصوص العهد الجديد وهي تشير بصراحة إلى أن الإله واحد، وهي أول الوصايا: "«اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ"[2]، وجاء ذلك في مواضع عدة من العهد القديم، ولا يمكن الجمع بين عقيدة التوحيد وعقيدة التثليث وإلا يلزم اجتماع الضّدين أو النقيضين، فثبوت أحدهما ينفي الآخر.

١٣- **خلاف المسيح - عليه السلام - مع اليهود في الإقرار بنبوته لا بإلهيته:** كان المسيح - عليه السلام - يدعو اليهود إلى الإيمان به على أنه نبي، لا أنه إله أو ابن إله: "فَاحْتَاطَ بِهِ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ: «إِلَى مَتَى تُعَلِّقُ أَنْفُسَنَا؟ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ فَقُلْ لَنَا جَهْراً». أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ. اَلأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا بِاسْمِ أَبِي هِيَ تَشْهَدُ لِي"[3]، فلم يقل اليهود أنت الله أو ابن الإله، ولم يفهمه عنه أحد من معاصريه ذلك.

١٤- **جهل يوحنا المعمدان بإلهية المسيح دليل على عدم إلهيته:** جاء في إنجيل متى أن يوحنا المعمدان شك في المسيح - عليه السلام - هل هو المسيح الموعود أم لا، فأرسل اثنين من تلاميذه يسألانه: "وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟»[4]، "فلو كان عيسى - عليه السلام - إلهاً يلزم كفره، إذ الشك في الإله كفر، وكيف يُتصوَّر أنه لا يعرف إلهه وهو نبيّه !؟ بل هو أفضل الأنبياء بشهادة المسيح كما هي مصرحة في هذا الباب، وإذا لم يعرف الأفضل مع كونه معاصراً فعدم معرفة الأنبياء الآخرين السابقين على عيسى أحق بالاعتبار"[5].

---

(١) (الفصل في الملل والنحل): ٢/ ٦١.
(٢) (تثنية) ٦: ٤. وراجع (تثنية) ٤: ٣٥، ٣٩، و(إشعيا) ٤٥: ٥- ٦، و٤٦: ٩.
(٣) (يوحنا) ١٠: ٢٤- ٢٥.
(٤) (متى) ١١: ٣.
(٥) (إظهار الحق) رحمة الله الهندي: ٣/ ٧٢٠.

١٥- **حواري المسيح – عليه السلام – كانوا ينظرون إليه على أنه إنسان:**

اعلم الناس بمراد المسيح – عليه السلام –: هم حواريوه، وحواريوه كانوا يعتقدون ببشريته، وأنه رسول لبني إسرائيل، خاطب السيد المسيح حوارييه فقال: "لَهُمْ: «أَتَفْهَمُونَ مَا قَدْ صَنَعْتُ بِكُمْ؟ أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّماً وَسَيِّداً، وَحَسَناً تَقُولُونَ، لأَنِّي أَنَا كَذلِكَ"[١]، وأكد يعقوب في رسالته على وحدانية الله تعالى، حيث جاء فيها: "أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ. حَسَناً تَفْعَلُ"[٢]، وقال (برنابا): "أَنْ يَثْبُتُوا فِي الرَّبِّ بِعَزْمِ الْقَلْبِ؛ لأَنَّهُ كَانَ رَجُلاً صَالِحاً وَمُمْتَلِئاً مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَالإِيمَانِ"[٣]، فوصف المسيح – عليه السلام – بالرجل الصالح.

قال عوض سمعان الباحث القبطي: "إن المتفحص لعلاقة الرسل والحواريين بالمسيح يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان، ولم يتصوروا على الإطلاق أنه إله، ولكن لماذا ؟ لأنهم أي الرسل والحواريون –كيهود– كانوا يعلمون تمام العلم أن الاعتراف بأن إنساناً هو الله يُعدّ تجديفاً يستحق الرجم في الحال، ولأنهم كيهود –أيضاً– كانوا يستبعدون أن يظهر الله في هيئة إنسان"[٤]، وبولس أشار في رسالته إلى العبرانيين أنه رسول، لا أنه إله باعتبارهم يعرفون النبوة جيداً فأظهر لهم أمر بشريته ورسالته: "اَللهُ بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيماً، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثاً لِكُلِّ شَيْءٍ ... وَأَمَّا عَنْ الابْنِ: «كُرْسِيُّكَ يَا أَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِزَيْتِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ شُرَكَائِكَ»[٥]، "وهذا الإصحاح من أوله إلى آخره ينادي بأن عيسى مسيح الله ورسوله ومن أنبياء بني إسرائيل؛ لأنه قال:

---

(١) (يوحنا) ١٣: ١٢- ١٣.

(٢) (رسالة يعقوب) ٢: ١٩.

(٣) (أعمال الرسل) ١١: ٢٣- ٢٤.

(٤) (طرق إعلانه عن ذاته) عوض سمعان: ص ٢٨، نقلاً عن (المسيح إنسان أو إله): ١٥٥.

(٥) (الرسالة إلى العبرانيين) ١: ١- ٩.

مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج، أكثر من شركائك، وأراد بالشركاء بقية أنبياء بني إسرائيل، فلو كان هو الإله لما جاز أن يكون له شركاء، فهو عبد الله ورسوله"[١].

يقول المفكر الألماني الشهير البرفيسور (هارناك): "أن السيد المسيح – عليه السلام – نص على أن رب السماوات والأرض هو ربه وأبوه، كما صرح بأنه هو الخالق، وهو الصالح وحده، وكان يعتقد – في يقين – أن ما يوجد عنده وأن ما هو متصد لإكماله، كل ذلك إنما يأتي من عند الأب؛ ولذلك كان يوجه الأدعية إلى الله، وكان يخضع نفسه لرضاه، إنه كان يبحث عما يرضي الله، ويتحمل أشد ما يكون من المشاق في العمل به، والمقصد، والقوة، والقضاء، والشدائد كل ذلك كان يراه يأتي من الله، تلك الحقيقة التي تدلنا عليها الأناجيل، ولا يمكن طي هذه الحقائق ولَيُّها"[٢].

والمتصفح للأناجيل يدرك بجلاء أن عقيدة التثليث التي تعتبر عمدة النصرانية الحديثة لم ترد لها ذكر في الأناجيل[٣]، وقد أقرَّ علماء النصارى عموماً وعلماء اللاهوت على وجه الخصوص بأن المسيح لم يعلن ألوهيته لتلامذته أثناء حياته على الأرض، فكان تلامذته يرون فيه بشراً نبياً مرسلاً من الله تعالى، وأن القول بألوهية المسيح قد بدأ ينمو في قلوب التلاميذ وعقولهم شيئاً فشيئاً، بدءاً من قيامته من الأموات في اليوم الثالث من دفنه حتى اختتم نوعاً ما يوم صعوده إلى السماء؛ ليتضح نهائياً يوم الخمسين من قيامه[٤]، يقول اللاهوتي عوض سمعان: المسيح لم يفرض على الناس الاعتقاد بأنه ابن الله، بل تركهم يستنتجون الحقيقة من تلقاء أنفسهم[٥]، فهل يعقل أن يترك

(١) (الفارق بين الخالق والمخلوق) عبد الرحمن الباجة جي: ص ٣٥٨.
(٢) (ما هي النصرانية) محمد تقي العثماني: ص ١٣٣– ١٣٤.
(٣) راجع (ما هي النصرانية) محمد تقي العثماني: ص ١٣٠– ١٣١.
(٤) راجع (المسيحية والإسلام) لينة الحمصي: ص ١١٨.
(٥) (فلسفة الغفران في المسيحية) عوض سمعان: ١/١٤٣، نقلاً عن (المسيحية والإسلام) لينة الحمصي: ص ١١٩.

المسيح – عليه السلام – عمدة عقيدة النصارى دون بيان ويتركها ليستنتجها أتباعه من بعده !؟

انعقد مؤتمر رجال الدين النصراني في كمبرج سنة ١٩١٧م، برئاسة الأستاذ (برسي جاردنر)، وكان موضوع المناقشة حول تأسيس المسيح للكنيسة، وكان من بين خطباء المؤتمر نائب أسقف يسمى (أنج) الذي أعلن أن المسيح لم يكن سوى بشر نبي، وأنه لم يحاول قط أن ينشر نظاماً داخل الكهنوت اليهودي، وقد حاز هذا الرأي على موافقة جميع المؤتمرين ما عدا كبير الشماسة (فورد).

وعقد اجتماع أخر في إكسفورد عام ١٩٢١م، يضم عدداً من رجال الدين في إكسفورد، وقد أعلن رئيس هذا الاجتماع الدكتور (راشدال) أسقف مدينة كارليل أن قراءته الكتاب المقدس جعلته يعتقد بأن المسيح هو إنسان بشر بكل ما تحويه الكلمة من معانٍ تنفي عنه أية صفة من صفات الألوهية[١].

إذاً فعقيدة التوحيد هي العقيدة الأصيلة للديانة النصرانية في القرن الأول، أما عقيدة الكنسية: فهي عقيدة مغايرة لإيمان الجيل الأول، تكونت لاحقاً بدأً من القرن الثاني، والثالث، والرابع الذي يُعد عصر انتصار الكنيسة[٢]، ومن ثم فإن التثليث هي عقيدة دخيلة عليها، ومن هنا حذر البابا في بلوم (فلا فلجينو) من أخذ العقيدة من الأناجيل مباشرة حيث قال: "إن الوعظ من الكتب المقدسة شيء يثير الشك، فمن يقترب من الكتب المقدسة يخرج عن المذهب الكاثوليكي"[٣]، وبيِّن الفيلسوف تولستوي أن الكنيسة وضعت حجباً حول تعاليم المسيح – عليه السلام – فقال: "إنه ينبغي لفهم تعاليم يسوع المسيح الحقيقي كما كان يفهما هو أن نبحث في تلك التفاسير والشروح الطويلة الكاذبة التي شوهت وجه التعليم المسيحي حتى أخفته عن الأبصار تحت طبقة كثيفة من الظلام، إن أولئك الشراح

(١) راجع (في العقائد والأديان) محمد جابر: ص٢٤٨– ٢٥٠، نقلاً عن(المسيحية والإسلام) لينة الحمصي:ص١٢٢.
(٢) راجع (المسيحية نشأتها وتطورها) شارل جنيبير: ص ١٨.
(٣) (عيسى المسيح والتوحيد) محمد عطا الرحيم: ص ١٠– ١١.

والمفسرين يدعون يسوع إلهاً دون أن يقيموا على ذلك الحجة، ويستندون على أقوال لا تدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله أو ابن الله "(١).

ومن هنا نفهم السبب الذي حمل رجال الكنيسة على حكر دارسة النصرانية الأولى على رجال الكنيسة، وحرموها على العلماء المنزهين من الغرض، أي الذين لا يعنيهم استغلال الحقيقة لمصلحة مذهب معين بل يبغونها خالصة لوجهها(٢).

وعلى ذلك نقول: إن العقيدة التي فرضتها الكنيسة ليس لها مستند من أقوال المسيح – عليه السلام –، بل هي تخالف عقيدته وعقيدة حوارية.

المطلب الثالث
المسيحية المؤمنة بوحدانية الله تعالى وآدمية المسيح – عليه السلام –

أغلب النصارى في القرون الأولى كانوا يقولون إن المسيح مخلوق، وإن الله تعالى أرسله لإصلاح بني إسرائيل، وقد عرَّفت الموسوعة العالمية هذا المذهب بأنه: "مذهب لاهوتي يركز على وحدانية الله وآدمية المسيح؛ مما يعارض مذهب الثالوث وألوهية المسيح المؤبدة"(٣).

إن هذا المذهب النصراني "المنكر لألوهية عيسى – عليه السلام – ليس بدعاً في الديانة المسيحية، ووجوده قديم قدم المسيحية نفسها باعتراف النصارى أنفسهم؛ فهم يقرُّون بأن الاعتقاد بتوحيد الله؛ بمعنى نفي بنوة عيسى – عليه السلام – له ليس غريباً على المفهوم الديني المسيحي، بل هو يمثل استمراراً لخط مسيحي قديم جداً، وهو في أصوله يرجع إلى النبي عيسى – عليه السلام – وإلى عهد الحواريين، كما استمرَّ هذا الاعتقاد في جميع

(١) (الله واحد أم ثالوث) محمد مجدي مرجان: ص ٨٩ – ٩٠.
(٢) راجع (المسيحية نشأتها وتطورها) شارل حنيبير: ص ١٥– ١٦.
(٣) International, Unitarianism, Grolier Encyclopedia, Publisher, New York, 1975.

العصور صعوداً وهبوطاً"[(١)]، ويُعدُّ هذا الخط هو الخط الرئيس لدعوة المسيح – عليه السلام – وظلت الغلبة لهذا المذهب فترة طويلة، وعقد مجمع نيقية بأمر من قسطنطين – الذي لم يتنصر بعد – سنة ٣٢٥م، وظهرت فيه الغلبة للقائلين بنبوة المسيح – عليه السلام –، والذين قالوا بإلهيته كانوا شرذمة قليلة إلا أن ميل قسطنطين لهذه الفئة واستعمال القوة وجبروت الملك لترويع الموحدين وعزلهم عن الكنائس أدى إلى ترجيح كفة هذه الفرقة فيما بعد[(٢)]، وأخذت فرق التوحيد في النصرانية تقل مع الزمن ويقل نفوذها، وأهم الفرق القائلة بنبوة المسيح – عليه السلام –:

الأبيونيون: وهم أبتاع أبيون الذي ظهر بعد خراب أورشليم منكراً ألوهية المسيح ومعلناً أنه كان بشراً رسولاً حلت عليه قوة إلهية (الوحي) ميَّزته عن سائر البشر[(٣)].

الشمشاطي: هم أتباع بولس الشمشاطي، وقيل الشمشاطي، أسقف بطريركية أنطاكية منذ سنة ٢٦٠م، أنكر ألوهية المسيح وقرَّر أن المسيح – عليه السلام – إنسان خلق مثل خلق آدم، ومثل أي واحد منَّا في جوهره، وأن بنوته لله بنوة مجازية لا تفيد أكثر من شدَّة القرب والاتصال بالله سبحانه وتعالى[(٤)].

الآريوسية: وهم أتباع القس الليبي آريوس المشهور بالموحِّد، وهو أشهر الدعاة إلى التوحيد في تاريخ المسيحية وأقواهم، وكان – بشهادة خصومه

---

(١) (الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم) سعد رستم: ص ٣٠٧.

(٢) راجع (محاضرات النصرانية) محمد أبو زهرة: ص ١١٨، و(المسيحية والإسلام) محمد عزت الطهطاوي: ص ٣٤.

(٣) راجع (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة) علي عبدالواحد وافي: ص١٢٤، و(المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون) إ. س. سفينسيسكايا: ص ٩٣. و(المسيحية المؤمنة بنبوة عيسى – عليه السلام –) أميمية الجلاهمة: ص ٨.

(٤) راجع (عقائد النصارى الموحدين) حسني يوسف الأطير: ص٥٦ – ٦٥، و(محاضرات في النصرانية) محمد أبو زهرة: ص ١٣٩، و(المسيحية عبر العصور) إيل كيرنز: ص١١٥، و(الملل والنحل) الشهرستاني: ٢/ ٦٥.

أنفسهم – يمثل أشد إعصار عقائدي زلزل عقيدة القائلين بتأليه المسيح – عليه السلام –[١].

ولد آريوس سنة ٢٧٠م، والتحق في شبابه بمدرسة (لوكيانوس) اللاهوتية في أنطاكية حيث كان يدرس فيها العديد من اللاهوتيين الذين أنكروا تأليه المسيح، وكان ذكياً فصيحاً واضح الحجة، جريئاً في رأيه، وقد أخذ على نفسه في أوائل القرن الرابع الميلادي مقاومة كنيسة الإسكندرية فيما كانت تذهب إليه من القول بألوهية المسيح وبنوته للأب على الحقيقة، فقرر أن المسيح – عليه السلام – ليس إلهاً، وليس ابناً لله على الحقيقة، وإنما هو بشر مخلوق، وأنكر آريوس جميع ما جاء في الأناجيل من عبارات توهم ألوهية المسيح[٢]، وفسر آريوس النصوص التي تشير إلى بنوة المسيح – عليه السلام – على أنها تحمل على المعنى المجازي، وأنها ما جاءت إلا من باب التشريف والتكريم[٣]، وعلى الرغم من طرده من كنيسة الإسكندرية فقد تبعه مناصرون كثيرون، وكانت هي عقيدة الغالبية العظمى من النصارى من قبل أن تعلن النصرانية ديناً للدولة في عهد قسطنطين ومن بعد ما أعلنت[٤]، وذكر ابن قيم الجوزية أن النجاشي كان على مذهب آريوس[٥].

النسطورية: تتلخص تعاليم نسطوريوس في قضية ألوهية المسيح في أنه ليس إلهاً، وأن طبيعته إنسانية، وأن مريم لم تلد إلهاً، بل إن ما يولد من الروح

---

(١) راجع (عقائد النصارى الموحدين) حسني يوسف الأطير: ص ٦٦.

(٢) (الفرق والمذاهب المسيحية) سعد رستم: ص ٢٣–٢٤، و(الأديان في القرآن) محمود بن الشريف: ص ١٩٩، و(الملل والنحل) الشهرستاني: ٢/٦٣، و(الله واحد أم ثالوث) محمد وجدي مرجان: ص ٣٣.

(٣) راجع (أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية) محمد بن صفي الدين الحنفي: ص ٣٤، و(الفرق والمذاهب المسيحية) سعد رستم: ص ٢٤. و(عقائد النصارى الموحدين) حسني يوسف الأطير: ٦٩.

(٤) راجع (محاضرات في النصرانية) محمد أبو زهرة: ص ١١٣، و(المسيحية عبر العصور) إيرل كيرنز: ص١٥٥، و(القرآن يتكلم والإنجيل يُثبت ما يقوله دين الحق) محمد حسني يوسف: ص٣٥٦– ٣٧١، و(عيسى المسيح والتوحيد) محمد عطا: ص ٩ – ١٠، و(طائفة الموحدين) أحمد عبد الوهاب: ص ١٢– ٣٠.

(٥) راجع (هداية الحيارى): ص ٣٨٣.

هو روح، والخليقة لم تلد الخالق، بل ولدت إنساناً، وأن الطبيعة الإلهية لم تتحد مع الطبيعة البشرية، وإنما كان بينهما توافق أخلاقي فحسب(١).

ذكر محمد عزت الطهطاوي أنه في يونيو من عام ١٩٧٧م، صدر كتاب في لندن ألفه سبعة من كبار رجال الكهنوت يُعلنون فيه إنكار ألوهية المسيح – عليه السلام – وتقرير بشريته فقط، وجدير بالإشارة – هنا – إلى أن الطبعة نفدت من الأسواق في أسبوع صدور الكتاب ذاته(٢)، ومازال يوجد في الغرب كنائس للموحدين: في بولندا، والمجر، وهولندا، وانجلترا، والولايات المتحدة الأمريكية(٣).

المبحث الثاني
نقد أهم شبهات النصارى في ألوهية المسيح

القول بألوهية عيسى – عليه السلام – عمدة الديانة النصرانية ليس له مستند كما مرَّ بنا، وأشارت دائرة المعارف الأمريكية إلى أن عقدية التثليث لم تفرض إلا في القرن الرابع، وكانت انحرافاً عن تعاليم المسيح –عليه السلام –(٤)، وكان – عليه السلام – يُذكِّر اليهود أنه عبدٌ ونبي مرسل، وتشهد بذلك الأناجيل الحالية، كما دَلّ عليه العقل، ويرجع سبب هذا الانحراف الخطير في الديانة النصرانية إلى أسباب، منها:

١ – المغالاة في المسيح – عليه السلام – ورفعه فوق رتبة الرسالة(٥)، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ

---

(١) راجع (موسوعة تاريخ الأقباط) زكي شنودة:١/ ١٣،١٦٠–١٦١، و(محاضرات في النصرانية) محمد أبوزهرة: ص١٢٥، و(عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية) حسني يوسف الأطير: ص٣٥–٣٦.

(٢) (الميزان في مقارنة الأديان) محمد عزت الطهطاوي: ص ٣٢٤– ٣٢٥.

(٣) راجع (طائفة الموحدين) أحمد عبد الوهاب: ص ٤٠– ٥٤.

(٤) راجع دائرة المعارف الأمريكية (encyclopedia americana)، ٢٧/ ٢٩٤ ل. وراجع (طائفة الموحدين) أحمد عبد الوهاب: ص ٩.

(٥) راجع (روح المعاني) الألوسي: ٦/ ٣٠٧.

إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، قال رسول الله ﷺ: (لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ)[١].

٢ – لما فقد النصارى الإنجيل الذي أنزل على المسيح – عليه السلام – حكموا أهواءهم وشهواتهم، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة]، وفي الآية إشارة إلى أن هذه المذاهب الباطلة تكوَّنت نتيجة الأهواء الجامحة، والمراد لا توافقوهم في مذاهبهم الباطلة التي لم يدعُ إليها سوى الشهوة ولم تقم عليها حجة[٢]، فعندما تنصرت قسطنطينية لم تتنصر روما، بل ترومت النصرانية، وأصبحت ديانة متلوثة بلوثة الوثنية، يقول شارل جنيبير في كتابه (المسيحية نشأتها وتطورها): "إن الغربيين لم يفهموا العقائد المسيحية في العصور القديمة قط، كما لم يصلوا إلى إدراكها في العصور اللاحقة؛ وأن الديانة التي أنشأها على أساس منها باجتهادهم الخاص، كانت ديانة مختلفة تمام الاختلاف في روحها وجوهرها عن المسيحية الشرقية، ديانة مختلفة نبعت قبل كل شيء من رصيدهم الفكري والروحي، متمشية مع عواطفهم ونزعاتهم، وإن صبت في قوالب تعبيرية لا توافقها تمام الموافقة.

والخلاصة: فإن الغربيين لم يكونوا – قط – مسيحيين في يوم من الأيام"[٣]، هذه النتيجة التي توصل إليها بعد أبحاث مضنية وجادة.

والمغالاة واتباع الأهواء والشهوات أفضت بهم إلى ترك الحجج العقلية والنصوص الكثيرة التي تشير إلى بشرية المسيح – عليه السلام –، وتمسكوا بألفاظ موهمة فأضفوا عليه صفة الألوهية.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى: واذكر في الكتاب مريم، ٤/ ١٤٢.

(٢) راجع (روح المعاني) الألوسي: ٦/ ٣٠٨.

(٣) (المسيحية نشأتها وتطورها): ص ٢٠٩.

يقول الشيخ عبد الرحمن الباجه جي: "بنت النصارى القول بالحلول والاتحاد، واعتقاد ألوهية المسيح، وغرهم في ذلك ما ورد موهماً من ألفاظ الإنجيل كالأب والابن والإله والرب، والسجود والغفران، ونحو ذلك، فلم يحملوها على ما أريد منها وحملوها على ظاهرها وخصوصيتها بعيسى - عليه السلام"(١).

وبيَّن الشيخ رحمة الله الهندي أن العبارات التي يتمسك بها النصارى غالباً مجملة، منقولة من إنجيل يوحنا، وبعضها لا يدل على الحقيقة، بل على المجاز الذي يجب تأويله(٢)، وأحياناً حملوا الألفاظ ما لا تحتمله من المعاني؛ حتى توافق هواهم.

قال الشيخ محمد أبو زهرة: إن النصارى اعتمدوا على ما عندهم من نقل يحملونه من أثقال المعاني ما تنوء به العبارات، ولا تحتمله أبعد الإشارات، وهذه العبارات التي عثروا عليها في كتبهم لا تفيد على وجه القطع ما يريدون، بل قد تفيد بأبعد أنواع الاحتمالات، أو باحتمال قريب، ومن المعلوم في قواعد الاستدلال أن الاحتمال إذا دخل الاستدلال أبطله، وكل أدلتهم ينفذ الاحتمال إليها من كل جانب(٣).

وهذا أهم شبهات النصارى والرد عليها:

الشبهة الأولى: يستدل النصارى على ألوهية المسيح - عليه السلام - بأنه أشار إلى الوحدة بينه وبين الله عز وجل وأنه حلَّ فيه، جاء في (إنجيل يوحنا): "اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟ أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ، وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ، صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ، وَالآبَ فِيَّ"(٤)

الرد: يمكن تَفْنِيد هذه الشبهة من وجوه:

---

(١) (الفارق بين المخلوق والخالق): ص ٣٤٤.
(٢) (إظهار الحق): ٣/ ٧٥١.
(٣) راجع (محاضرات في النصرانية): ص ١٢٨-١٢٩.
(٤) (يوحنا): ١٤/٩ - ١١.

أولاً: هناك شك تسرب إلى حقيقة كاتب هذا الإنجيل، خلافاً لما ذهب إليه جمهور النصارى من أنه يوحنا الحواري، فقد جاء في دائرة المعارف البريطانية:

"أما إنجيل يوحنا: فإنه لا مرية، ولا شك كتاب مزور"[١]، وأشارت دائرة المعارف الأمريكية إلى التأثير الإغريقي في الفقرات الأولى من صدر إنجيل يوحنا[٢]، وإلى مثل هذا ذهب موريس بوكاي[٣]، وأُلِّف الإنجيل من أجل الدلالة على عقيدة ألوهية المسيح، ومع ذلك لم نجد نصاً واحداً يشير إلى أن المسيح - عليه السلام - قال بصريح العبارة: إنه الله، أو إنه الإله، مع أن هذه المسألة من أعظم ركائز الديانة الكنسية.

ثانياً: هذا النص - على فرض صحته - لا يجب أن يحمل على الحقيقة، بل على المجاز، فهو تعبير مجازي عن طاعة الله تعالى والقيام بالواجبات الدينية والأعمال الصالحة؛ لأن مثل هذه الوحدة والحلول وردتا في مواضع من الإنجيل وحمل على المجاز، مثل قول المسيح لتلاميذه الاثنى عشر: "لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا"[٤]، ومثل قول بولس: "هكَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ"[٥]، واستخدم هذا المصطلح يوحنا، قال يوحنا: "وَمَنْ يَحْفَظْ وَصَايَاهُ يَثْبُتْ فِيهِ، وَهُوَ فِيهِ. وَبِهذَا نَعْرِفُ أَنَّهُ يَثْبُتُ فِينَا"[٦]، فإن يكن الحلول الذي أطلقه المسيح يقتضي الألوهية فيكون بذلك مثبتاً لنفسه ولغيره الألوهية، وهذا باطل باتفاق.

ثالثاً: وسيأتي في الشبهة التالية أن المسيح - عليه السلام - يرد على معترضيه من اليهود على استخدام هذه الكلمات، فيبين لهم أن المقصود منها ليس الظاهر، وإنما هي من قبيل المجاز.

---

(١) (محاضرات في النصرانية) محمد أبو زهرة: ص ٦١.
(٢) راجع (بحوث في مقارنة الأديان) محمد الشرقاوي: ص ٢٣٦، والفقرات هي(يوحنا) ١: ١- ٢.
(٣) (الإسلام والأديان) مصطفى حلمي: ص ٢٠٣.
(٤) (يوحنا) ١٧: ٢١.
(٥) (رسالة بولس إلى رومية) ١٢: ٥.
(٦) (رسالة يوحنا الأولى) ٣: ٢٤.

الشبهة الثانية: قال توما للمسيح – عليه السلام –: "رَبِّي وَإِلهِي!"[(١)]، وقبل منه المسيح، ولم يُوبّخه على دعوته إلهاً.

الرد: يمكن تفنيد هذه الشبهة من وجهين:

أولاً: الإشكالية في هذا النص راجع إلى الترجمة الخاطئة، وعدم فهم اللغة التي ترجمت منها، فقد كان الحواريون يطلقون على السيد المسيح – عليه السلام – كلمة (الرَّب)، أو (رِبِّي) بمعنى المعلم، وأصل هذه الكلمة في العبرية (رِبي) بكسر الراء، وهو لفظ آرامي، فلما نقلت إلى اللغة العربية بنطقها ورسمها دون معناها أصبح مفهومها (رَبِّي) بفتح الراء، أي إلهي، أما (الآب) بمد الهمز فلفظ عبراني يعني (الله) أو فاطر، ولما ترجمت إلى اللغة العربية بنطقها ورسمها دون معناها أصبح مفهومها (أب) أو والد[(٢)].

جاء في (إنجيل متى) أن سيدنا المسيح – عليه السلام – خاطب حواريه قائلاً: "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ، وَأَنْتُمْ جَمِيعاً إِخْوَةٌ. وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَباً عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، وَلاَ تُدْعَوْا مُعَلِّمِينَ، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ"[(٣)]، فكان يحب أن يطلق عليه هذا اللقب، وأن يعتبروه معلمهم، فقد جاء في (إنجيل يوحنا): "فَسَمِعَهُ التِّلْمِيذَانِ يَتَكَلَّمُ، فَتَبِعَا يَسُوعَ. فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَنَظَرَهُمَا يَتْبَعَانِ، فَقَالَ لَهُمَا:«مَاذَا تَطْلُبَانِ؟» فَقَالاَ:«رَبِّي، الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ، أَيْنَ تَمْكُثُ؟»[(٤)]، وجاء في موضع آخر هذا المصطلح مفسراً من صاحب الإنجيل، ليقطع كل شك بأن المراد منه ألوهية المسيح: "قَالَ لَهَا يَسُوعُ:«يَا مَرْيَمُ» فَالْتَفَتَتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: «رَبُّونِي!» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ"[(٥)]؛ ولأنه كان أحب الألقاب إلى نفسه – عليه السلام – كما أخبرهم كان تلاميذه ينادوه بهذا اللقب[(٦)]، ويتضح من ذلك جلياً أن الحواريين

---

(١) (إنجيل يوحنا) ٢٠: ٢٨.
(٢) (الميزان في مقارنة الأديان) محمد عزت الطهطاوي: ص ٢٩٢.
(٣) ٢٣: ٨ – ١٠.
(٤) ١: ٣٧– ٣٨.
(٥) (يوحنا) ٢٠: ١٦.
(٦) راجع (مرقس) ٩: ٣٨، و(لوقا) ٨: ٢٤، ٩: ٣٣، و(يوحنا) ٩: ١– ٢.

كانوا يدعون المسيح رِبِّي أو الرب بمعنى المعلم، والهادي، لا بمعنى المعبود أو الإله[١]، يقول العقاد: إن المسيح "سمي المعلم – وبحق – عند تلاميذه وخصومه، ونودي به في مختلف المجامع والمحافل؛ لأن مهمته الكبرى كانت تعليم وإحياء روحي عن طريق التعليم"[٢].

وألمح (ستيفن نيل) إلى أن هذه الكلمة دخيلة من الوثنية القديمة، فيقول: "إن الكلمة اليونانية الأصيلة التي معناها رب يمكن استعمالها كصيغة للتأديب في المخاطبة (فسجان فيلبي) يخاطب بولس بكلمة: "سيدي أو ربي"، ولكن يمكن أن تستعمل بمعنى أرفع وأرقى، فكانت تستعمل وصفاً للإمبراطور في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية، كما كانت تستعمل لملوك اليهود، وكانت اللفظة لقباً من ألقاب الكرامة خلع على كثير من الآلهة الوثنية، وبخاصة آلهة أديان الأسرار، ولهذا السبب ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ الرب أطلق أولاً على اليسوع في الجماعات الأممية الناطقة باليونانية؛ وذلك لأنه هو الوصف الذي خلعوه على آلهتهم قبل أن يعتنقوا المسيحية، وكان من الهَيِّنِ على أولئك الأمم أن يقبلوا هذا اللقب الذي كان مألوفاً لديهم"[٣].

ثانياً: يجب حمل كلمة (إلهي) على المجاز إن ثبت صحة النص، ولكنها لا تفيد بحال من الأحوال ألوهية المسيح – عليه السلام –، فقد وردت في مواضع من العهد القديم بالمعنى المجازي، جاء في التوراة: أن الله تعالى خاطب موسى فقال له: "أَنَا جَعَلْتُكَ إِلهاً لِفِرْعَوْنَ"[٤]، وقد أطلق هذا المصطلح على بني إسرائيل كلهم: "أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ، وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ"[٥]، وداود – عليه السلام – وفق العهد القديم يسمي القضاة آلهة: "اَللهُ قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ اللهِ. فِي وَسْطِ الآلِهَةِ يَقْضِي"[٦].

(١) راجع (ما هي النصرانية) محمد تقي العثماني: ص ١٣٧.
(٢) (عبقرية المسيح) ص ١٦٦، نقلاً عن (المسيح إنسان أم إله) ص ١٥٣.
(٣) راجع (من هو المسيح): ص ٤٩، نقلاً من (المسيح إنسان أم إله) محمد مجدي مرجان: ص ١٥٣ – ١٥٤.
(٤) (الخروج) ٧: ١.
(٥) (المزامير) ٨٢: ٦.
(٦) (مزمور) ٨٢: ١.

ويظهر أن اليهود أرادوا قتله – عليه السلام –؛ لأنه أطلق هذا المصطلح على نفسه – هذا على صحة هذا النص–: "فَتَنَاوَلَ الْيَهُودُ –أَيْضاً– حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي. بِسَبَبِ أَيِّ عَمَل مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟» أَجَابَهُ الْيَهُودُ قَائِلِينَ:«لَسْنَا نَرْجُمُكَ لأَجْلِ عَمَل حَسَنٍ، بَلْ لأَجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلهاً» أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ مَكْتُوباً فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ إِنْ قَالَ: آلِهَةٌ لأُولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ، فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ"(١).

ووفق هذا النص يستخدم هذه الكلمة (الإله) للذي يوحى إليه من الله تعالى، أو الذي يحفظ كلام الله تعالى، وذلك مثل كلمة (الرب) في اللغة العربية فقد تطلق على الله تعالى على الحقيقة، وقد تطلق على رب العمل مجازاً، وعلق الإمام الغزالي على هذا النص فقال: هذا النص بالغ في تحصيل غرضنا وبيانه أن اليهود لما أنكروا عليه قوله: أنا والآب واحد ظانين بأنه أراد بقوله هذا مفهومه الظاهر فيكون إلهاً حقيقة، انفصل – عليه السلام – عن إنكارهم مصرحاً بأن ذلك من قبيل المجاز، وضرب لهم المثل بأنه قد أطلق عليكم أنكم آلهة ولستم آلهة حقيقة، وإنما أطلق هذا اللفظ لمعنى وهو صدور الكلمة إليكم، وأنا قد شاركتكم في ذلك(٢).

يقول محمد مجدي مرجان: "يطلق لفظ إله في الكتب المقدسة على بعض الأنبياء على سبيل المجاز؛ تعبيراً عن قربهم من الله كسائر أبناء الله الصالحين والبشر المؤمنين"(٣).

ويقول ابن قيم الجوزية: "وإن جعلتموه إلهاً لأن الأنبياء سَمَّته إلهاً ورباً وسيِّداً ونحو ذلك، فلم يزل كثيرٌ من أسماء الله عز وجل تقع على غيره عند جميع الأمم وفي سائر الكتب، وما زالت الروم والفرس والهند والسُريانيون والعبرانيون والقِبْط وغيرهم يُسمُّون ملوكهم آلهة وأرباباً"(٤).

---

(١) (يوحنا) ١٠: ٣١ – ٣٦.
(٢) راجع (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل) ص: ٣٨.
(٣) (المسيح إنسان أم إله): ص ١٤٩.
(٤) (هداية الحيارى): ص ٣٤٨.

الشبهة الثالثة: استدل النصارى بما جاء في الإنجيل من بنوة المسيح لله تعالى بأنها بنوة حقيقية[١]، جاء في (إنجيل متى) أنهم سمعوا صوتاً من السماء يقول: «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»[٢].

الرد: **يمكن تفنيد هذا الشبهة من وجوه:**

أولاً: يرى الدكتور (شارل جنيبير) – أستاذ ورئيس قسم الأديان بجامعة باريس –: تمَّ إلحاق بنُّوة المسيح لله تعالى على الحقيقة نتيجة خطأ في الترجمة، فاليهود كانوا يطلقون (خادم يهوه) على كل إنسان يظنون لديه (إلهاماً) منه، والتوراة (السبعينية) كثيراً ما تترجم إلى (خادم) أو (طفل)، وعلى هذا يكون التطور في اللغة اليونانية من (طفل) إلى (ابن) أمراً في غاية من البساطة، وقد حدث مثل هذا التطور اللفظي فعلاً في النصوص اليهودية المسيحية كمجموعة (أعمال الرسل) عندما نقل بعضها إلى رسائل بولس، وكان بولس أول من استخدم هذا المصطلح جاء في (رسالة بولس إلى أهل روما): "اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ"[٣]، وترتب على مفهوم (ابن الله) بعد ذلك من مشاكل في فلسفة الدين لا تحصى[٤]، وقال أيضاً: "والنتيجة الأكيدة لدراسة الباحثين هي: أن عيسى لم يَدَّع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه أنه (ابن الله)، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل بالنسبة إلى اليهود سوى خطأ لغوي فاحش"[٥].

ثانياً: يجب حمل البنوة في كتب العهد القديم والجديد على المجاز لا على الحقيقة، جاء في (إنجيل مرقس) إطلاق البنوة على المسيح – عليه السلام –:«كَانَ هذَا الإِنْسَانُ ابْنَ اللهِ»[٦]، ونقل (لوقا) هذا النص بهذا اللفظ: «كَانَ هذَا الإِنْسَانُ بَارّاً!»[٧]، فلفظ (ابن الله)، هنا بمعنى (الصالح البار)[٨].

---

(١) راجع (اسم نبي الإسلام) السقا: ص ١١، و(القاموس المقدس): ص ٨٦٦.
(٢) ٣: ١٧.
(٣) ٨: ٣٢.
(٤) راجع (المسيحية نشأتها وتطورها): ص ١٠٦.
(٥) (المسيحية نشأتها وتطورها) شارل جينيبير: ص ٣٩.
(٦) ١٥: ٣٩.
(٧) ٢٣: ٤٧.
(٨) (اسم نبي الإسلام) السقا: ص١١.

قال ابن القيم – رحمه الله –: "إن قلتم: إنما جعلناه إلهاً لأنه سمَّى نفسَهُ ابنَ الله في غير موضع من الإنجيل ... قيل: فاجعلوا أنفسكم كلكم آلهة"[1]، لأن البنوة لم تطلق على المسيح – عليه السلام – فقط، ومن يطالع التوراة والأناجيل ورسائل الحواريين يجد أن لفظ ابن الله أو صفة البنوة لله لم ينفرد بها السيد المسيح، بل شاركه فيها كافة أنبياء الله والملائكة وجميع المؤمنين[2]، وحسبي أن أشير إلى ما جاء في العهد القديم والجديد ما يدحض ذلك، فإنجيل (لوقا) يسوق نسب عيسى – عليه السلام – إلى آدم – عليه السلام –: "أَنُوشَ بْنِ شِيتِ بْنِ آدَمَ ابْنِ اللهِ"[3]، وعلى هذا فالبشر جميعاً أبناء الله – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً–، وقد أطلق على بني إسرائيل أنهم ابنه البكر: «فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ. فَقُلْتُ لَكَ: أَطْلِقِ ابْنِي لِيَعْبُدَنِي، فَأَبَيْتَ أَنْ تُطْلِقَهُ. هَا أَنَا أَقْتُلُ ابْنَكَ الْبِكْرَ»[4]، وجاء في المزامير: "أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ"[5]، وأطلق على داود – عليه السلام – ابنه البكر[6]، وقد أطلق المسيح هذا اللفظ على أتباعه، فقال: "طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ"[7]، ودعاهم إلى التمسك بالفضيلة التي بها ينالون هذه البنوة فقال: "لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ"[8]، فبنوة المسيح – عليه السلام – المشار إليها في نصوص الإنجيل هي بنوة مجازية قُصد منها التشريف والتكريم، لا تفترق في شيء عن بنوة أخوته من البشر لأبيهم السماوي، وأن الله سبحانه وتعالى إله الجميع وآب الجميع، وقد مرَّ بنا أن فرق النصارى الأولى فسرت البنوة على هذا النحو، فهذا اللفظ (ابن الله) يطلق على الصالح، وعكسه (ابن الشيطان) يطلق على الفاسد، ويوضح ذلك قول

(١) (هداية الحيارى): ص ٣٤٦.
(٢) راجع (الله واحد أم ثالوث) محمد مجدي مرجان: ص ٧٩ – ٨٢.
(٣) (لوقا) ٣: ٣٨.
(٤) (الخروج) ٤: ٢٢– ٢٣.
(٥) (المزامير) ٨٢: ٦.
(٦) راجع (المزامير) ٨٨: ٢٧.
(٧) (متى) ٥: ٩.
(٨) (متى) ٥: ٤٥.

المسيح – عليه السلام – لليهود: "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كَانَ اللهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي، لأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللهِ وَأَتَيْتُ. لأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي، بَلْ ذَاكَ أَرْسَلَنِي. لِمَاذَا لاَ تَفْهَمُونَ كَلاَمِي؟ لأَنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي. أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا"[١].

ومن هنا يتبيَّن أن أهل الكتاب "كانوا في الزمن الأول يسمون المؤمن الطائع ابن الله كما هو واضح من نصوص التوراة، وأبناء الله بصفة الجمع المؤمنون الطائعون"[٢].

وقد يضيف الإنجيل لفظ (الابن) إلى شيء له مناسبة ما، كإطلاق (أبي الكذب) على الشيطان[٣]، و(أبناء جهنم) و(أولاد أورشليم) على اليهود[٤]، و(أبناء الدهر) على أهل الدنيا[٥]، قال الدكتور محمد فؤاد الهاشمي – كان من رجال الكهنوت النصراني ثم أسلم–: إن (ابن الله) الواردة بالأسفار المقدسة لا تعني تلك الأبوة الجسدية التي تثبتها شهادة الميلاد، بل هي ربوبية الخلق والتربية[٦]، ويرى محمد مجدي مرجان أن هذا اللفظ قصد به "فقط إبراز قرب السيد المسيح – عليه السلام – من الله، يشترك في هذا القرب الإلهي مع السيد المسيح كافة أنبياء الله وخلصاؤه، وباقي عبادة الصالحين"[٧].

ثالثاً: إذا كان المسيح – عليه السلام – هو ابن الله تعالى فلماذا تنسبوه إلى يوسف النجار، وإلى داود وآدم[٨] – عليهما السلام –، وقد مرَّ بنا أن المسيح – عليه السلام – في مواضع قال عن نفسه أنه إنسان، وابن الإنسان، فكيف يكون إنساناً وإلهاً في الوقت نفسه وهذا في غاية التناقض.

---

(١) (يوحنا) ٨: ٤٢ – ٤٤.
(٢) (الفارق بين المخلوق والخالق) عبد الرحمن الباجه جي: ص ٤٢.
(٣) راجع (يوحنا) ٨: ٤٤.
(٤) (متى) ٢٣: ١٥، ٣٧.
(٥) (لوقا) ٢٠: ٣٤، ٣٦.
(٦) راجع (الميزان في مقارنة الأديان) محمد عزت الطهطاوي: ص ٨٩.
(٧) (الله واحد أم ثالوث): ص ٧٨.
(٨) راجع (لوقا) ٣.

رابعاً: "لا يصح أن يكون لفظ الابن بمعناه الحقيقي؛ لأن معناه الحقيقي باتفاق لغة أهل العلم مَن تولّد من نطفة الأبوين، وهذا محال ههنا، فلا بدّ من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح"(١).

الشبهة الرابعة: يستند النصارى على ميلاد المسيح – عليه السلام – من عذراء وبدون أب في القول بألوهيته، فما دام ليس له أب فيكون الله أباه، ومن ثم فهو ابن الإله، فهو إله، وليس ابن الناس(٢): "فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟» فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَها: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ"(٣)، يقول محمد مجدي مرجان: "كان ميلاد عيسى من عذراء منفذاً للقول بتأليهه، فما دام أنه قد ولد دون أب فلا بد أن الله أبوه، وأنه ليس من جنس الناس"(٤)، وقال الألوسي: "لما كان أكثر ما لبس على النصارى في ألوهية عيسى – عليه السلام – كونه موجوداً من غير أب أنبأ الله تعالى أن هذا الموجود من غير أب لا يستنكف من عبادة الله تعالى(٥)، قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء].

الرد: هذا استدلال ضعيف جداً من وجوه:

أولاً: إذا كان المسيح – عليه السلام – ولد من غير أب فلماذا تنسبوه إلى يوسف النجار(٦)، وهذا في غاية التناقض.

ثانياً: أما قولهم إن المسيح – عليه السلام – ولد من غير أب، فهذا يعني أنه إله، أو ابن الإله، فإن آدم – عليه السلام – خلق من تراب من غير أب ولا

---

(١) (إظهار الحق) رحمت الله الهندي: ٣/ ٧٥٢.
(٢) راجع (اسم نبي الإسلام) السقا: ص ١٣، و(غلاة الشيعة) فتحي الزغبي: ص٤٨٤.
(٣) (لوقا) ١: ٣٤– ٣٥.
(٤) (المسيح إنسان أم إله): ص ١٤٥.
(٥) (روح المعاني): ٦/ ٦٠.
(٦) راجع (لوقا) ٣.

أم[١]، وحواء خلقت من غير أم[٢]، فإذا لم يكونا إلهين، فالمسيح – عليه السلام – أولى أن لا يكون إلهاً، وهو من ذرية آدم – عليه السلام –[٣]، وقد بيَّن القرآن الكريم ضعف هذا الاستدلال، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران].

قال الإمام الفخر الرازي – رحمه الله –: "لما لم يلزم من عدم الأب والأم البشريين لآدم – عليه السلام – أن يكون ابناً لله تعالى لم يلزم من عدم الأب البشري لعيسى – عليه السلام – أن يكون ابناً لله – تعالى الله عن ذلك –، ولما لم يبعد انخلاق آدم – عليه السلام – من التراب لم يبعد أيضاً انخلاق عيسى – عليه السلام – من الدم الذي كان يجتمع في رحم أم عيسى – عليه السلام –، ومن أنصف وطلب الحق، علم أن البيان قد بلغ إلى الغاية القصوى"[٤].

وقد جاء في العهد الجديد: أن ملكي صادق كان بلا أب ولا أم، وهذا أحق بالألوهية من المسيح – عليه السلام –: "لأَنَّ مَلْكِي صَادَقَ هذَا، مَلِكَ سَالِيمَ، كَاهِنَ اللهِ الْعَلِيِّ ... بِلاَ أَبٍ، بِلاَ أُمٍّ، بِلاَ نَسَبٍ. لاَ بَدَاءَةَ أَيَّام لَهُ، وَلاَ نِهَايَةَ حَيَاةٍ. بَلْ هُوَ مُشَبَّهٌ بِابْنِ اللهِ. هذَا يَبْقَى كَاهِناً إِلَى الأَبَدِ"[٥]، وبهذا "يفوق المسيح في كونه بلا أم، وفي كونه بلا بداية له"[٦].

قال الشيخ رحمة الله الهندي – رحمه الله تعالى –: "كل مخلوق من السماء والأرض والجماد والنبات والحيوان وآدم، خلق عندهم في أسبوع واحد، فجميع الحيوانات مخلوقة بلا أب وأم، فكلٌّ من هذه يشارك المسيح في كونه مخلوقاً بلا أب ويفوق عليه في كونه بلا أم ... فكيف يكون هذا الأمر سبباً للألوهية؟!"[٧].

(١) راجع (التكوين) ٢: ٧.
(٢) راجع (التكوين) ٢: ٢١– ٢٢.
(٣) راجع (من النماذج الرفيعة للدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين جواب القاضي أبي الوليد الباجي على رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين) محمد عبد الله الشرقاوي: ص ١١٥، مقال ضمن مجلة (هذه سبيلي).
(٤) (التفسير الكبير): ٣/ ٢٤٥.
(٥) (العبرانيين) ٧: ١– ٣.
(٦) (إظهار الحق) رحمت الله الهندي: ٣/ ٧٦٥.
(٧) (إظهار الحق) رحمت الله الهندي: ٣/ ٧٦٥.

ثالثاً: إن خلق المسيح – عليه السلام – من غير أب دليل على عظمة قدرة الخالق الذي خلقه، لا على إلهيته، فقد خلق الله تعالى "آدم لا مِنْ ذَكَر ولا أنثى، وخلق زوجه حواء من ذكر لا من أنثى، وخلق عبده المسيح من أنثى لا من ذكر، وخلق سائر الأنواع من ذكر وأنثى"[1].

رابعاً: إن خلق الإنسان من ذكر وأنثى من أعظم المعجزات الدالة على عظمة الله سبحانه وتعالى، كما أن خلق المسيح – عليه السلام – من أعظم الآيات على عظمة قدرة الخالق، وإنما يقل شعور الإنسان نحو هذه المعجزة الباهرة هو تكرارها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون][2].

قال الغزالي – رحمه الله تعالى –: لكل مولود سبب قريب وبعيد، فالأول: المني، والثاني: قول كن، ولما دَلَّ الدليل على عدم القريب في حق عيسى – عليه السلام – أضافه إلى البعيد، وهو قول كن إشارة إلى انتفاء السبب القريب، وأوضحه بقوله سبحانه: ﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾، يريد: أن الولد إنما يتكون من إلقاء المني إلى أمه، وهذا المولود لم يخلق إلا بإلقاء الكلمة إلى أمه، التي هي عبارة عن الأمر بالتكوين، فإذاً الإلقاء مجازي[3]، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء].

---

(١) (هداية الحيارى) ابن قيم الجوزية: ص ٣٤٣.
(٢) راجع (المسيح إنسان أم إله): ص ١٤٥.
(٣) راجع (الرد الجميل): ص ٩١.

الشبهة الخامسة: كانت معجزات المسيح – عليه السلام – باباً نفذت منه دعوى القول بتأليهه، فما دام يشفي المرضى، ويحيي الموتى، ويأتي بالخوارق التي يعجز عنها سائر البشر، فلا شك أنه ليس إنساناً عادياً، والأرجح أنه إله أو ابن إله(١).

الرد على هذه الشبهة من وجوه:

أولاً – بَيَّنَ القرآنُ الكريم أن معجزات المسيح – عليه السلام – أجراها الله تعالى على يديه لتكون دليلاً على صدق رسالته لا ألوهيته، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ [آل عمران]، جاء في الإنجيل أن السيد المسيح – عليه السلام – بيَّن أن الله تعالى أجرى هذه المعجزات على يديه: "وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ: لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي». وَلَمَّا قَالَ هذَا صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجاً!» فَخَرَجَ الْمَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلاَهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ، وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيل»(٢).

وحين أبرأ الأكمه والأعمى والمجنون، قال الفريسيون: إنه شفاهم برئيس الشياطين (بَعْلَزَبُولَ)، بَيَّنَ لهم المسيح أنه يشفيهم بأمر الله تعالى: "وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ!"(٣)، وأكَّد المسيح – عليه السلام – على ذلك في مواضع أن المعجزات دليل على أن الله تعالى أرسله: "هذِهِ الأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي"(٤)، وكان هذا معلوماً لدى حواري المسيح – عليه السلام –، وأعلن ذلك بطرس ذلك صراحة: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ، اسْمَعُوا هذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ

---

(١) (المسيح إنسان أم إله) محمد مجدي مرجان: ص ٥٣.
(٢) (يوحنا): ١١/ ٤٢– ٤٤.
(٣) (متى) ١٢: ٢٨.
(٤) (يوحنا) ٥: ٣٦.

النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضاً تَعْلَمُونَ"[١]، وعرف (نِيقُودِيمُوسُ) أن معجزاته – عليه السلام – دليل على صدق نبوته؛ لأن مثل هذه المعجزات لا يمكن لبشر أن يأتي بها إن لم يكن مؤيداً من الله تعالى: "كَانَ إِنْسَانٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ اسْمُهُ نِيقُودِيمُوسُ، رَئِيساً لِلْيَهُودِ. هذَا جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيْلاً وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللهِ مُعَلِّماً؛ لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هذِهِ الآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللهُ مَعَهُ»[٢]. وقد مرَّ بنا أن المسيح – عليه السلام – عندما أحيا الميت قالت الجموع الحاضرة: "قد خرج فينا نبي عظيم".

والمسيح ما فتئ يذكر اليهود بالله تعالى، ويبيِّن أنه ليس له حول ولا قوة إلا بالله تعالى: "فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمُ:«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئاً إِلَّا مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ"[٣]، وكان يحرص على عدم إظهار المعجزات:" فَأَتَى إِلَيْهِ أَبْرَصُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ جَاثِياً..فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ وَقَالَ لَهُ: «أُرِيدُ، فَاطْهُرْ!». فَلِلْوَقْتِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ ذَهَبَ عَنْهُ الْبَرَصُ وَطَهَرَ. فَانْتَهَرَهُ وَأَرْسَلَهُ لِلْوَقْتِ، وَقَالَ لَهُ:«انْظُرْ، لاَ تَقُلْ لأَحَدٍ شَيْئاً...»[٤]، وكرر ذلك مع أعميين قابلهما في الطريق[٥].

ومن جهة أخرى كانت هذه المعجزات السبب في الضغينة التي ملأت قلوب أعدائه عليه حتى أقرب الناس إليه وفق ما جاء في الإنجيل، فهاهم إخوانه من أمه قد ملأ الغلُّ قلوبهم فلم يؤمنوا به، بل استهزؤوا به[٦]، ولم تنتشر النصرانية بسبب معجزاته – عليه السلام – فلم يؤمن به إلا مائة وعشرون رجلاً قبل رفعه، وما انتشرت إلا بعد رفعه على يد حواريه وأتباعه من بعده.

---

(١) (أعمال الرسل) ٢: ٢٢.
(٢) (يوحنا) ٣: ١– ٢.
(٣) (يوحنا) ٥: ١٩.
(٤) (مرقس) ١: ٤٠ – ٤٤.
(٥) راجع (متى) ٨: ٢ – ٤.
(٦) راجع (مرقس) ٦: ٤. و(متى) ١٣: ٥٧، و(لوقا) ٤: ٢٤.

ثانياً – ظهرت الآيات على أيدي سائر الرسل – عليهم السلام – مثلما ظهرت على يدي المسيح – عليه السلام – وأكثر، فلو جاز أن يدعى للمسيح بشيء مما ظهر على يديه من إحياء ميتٍ وإبراء الأكمهِ والأبرصِ بأنه ابن الله – تعالى الله عن ذلك – لجاز أن يُدعى ذلك لإبراهيم – عليه السلام – لِما ظهر على يديه من سلامته من النار بعد أن قذف فيها، ولم ينجُ المسيح – عليه السلام – من عدد يسير من البشر راموا – بزعمهم – صَلْبَه وقتله، ولجاز أن يدعى ذلك لموسى – عليه السلام – لِمَا ظهر على يديه من قلب العصا حيَّةً، وفَلق البحر، ولجاز أن يُدعى لمحمد ﷺ لِمَا ظهر على يديه من انشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، وتسبيح الحصى في يده، وحنين الجذع إليه، وغير ذلك من الآيات، ولجاز لليسع فقد طهر رجلاً من برصه، ودعا على غلامه أن يكون أبرص، فصار أبرص[(١)].

والأغرب: هو التمييز بين معجزات المسيح ومعجزات غيره من الأنبياء، بحيث تكون معجزات المسيح – بزعمهم – وحده أمراً نابعاً من كيانه الذاتي، دون أن يتلقى أية قوة خارجية، بينما تجري معجزات الأنبياء بمدد من الله تعالى[(٢)]، والمسيح – عليه السلام – يصرح أن ما جاء به هو بمدد من الله تعالى، ويعلن بدون حرج ولا وَجَل أنه يخرج من حوله وقوته إلى حول الله وقوته: "أَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لَا أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي"[(٣)]، والدليل على أنه عبد مربوب وأن إجراء المعجزات ليست بيده: ما جاء في إنجيل (مرقس) فلما رجع من سفر بعد أن أجرى الله على يديه معجزات لم يتمكن بعد عودته إلى وطنه إلا شفاء بعض المرضى: "وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصْنَعَ هُنَاكَ وَلَا قُوَّةً وَاحِدَةً، غَيْرَ أَنَّهُ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى مَرْضَى قَلِيلِينَ فَشَفَاهُمْ"[(٤)].

---

(١) (الملوك الثاني) ٥: ١٤ – ٢٧.

(٢) راجع الأنبا غريغوريوس: (أنت المسيح ابن الله الحي) ١/ ٥٨، و(مدخل إلى العقيدة المسيحية) كوستي بندلي: ص ١٠٦– ١٠٧. نقلاً عن (المسيحية والإسلام) لينة الحمصي: ص ١١٥– ١١٦، نقلاً.

(٣) (يوحنا) ٥: ٣٠.

(٤) (مرقس) ٦: ٥.

ثالثاً: أما إحياء الموتى فلم يثبت له فقط، بل ثبت لغيره، وقد ثبت أن المسيح أحيا ثلاثة أشخاص، وهم: (لعازر)[١]، و(ابن الأرملة)[٢]، و(ابنة ياريوس)[٣]، بينما نجد النبي (حزقيال) أحيا آلاف الأشخاص[٤]، وهذا يعني أنه أحق بالألوهية منه، وقد أحيا الله تعالى على يد إبراهيم – عليه السلام – الطير بعد أن قطعت، وأحيا الرجل المقتول من بني إسرائيل على يد موسى – عليه السلام –، وإيليا دعا الله أن يحيي ولد الأرملة، فرد الله الروح إليه[٥]، وإلياس – عليه السلام – أحيا ميتاً[٦]، وأحيا اليسع ميتين، واحد في حياته[٧]، والآخر بعد موته بعد أن وضعوه في قبره، فلما مس عظام اليسع عاش وقام على رجليه[٨]، وتقول كتب النصارى إن كلاً من بطرس[٩]، وبولس[١٠]، أحيا الأموات مع أن أحداً لم يقل: إن فيهم صفة لاهوتية.

يقول الإمام الغزالي: "فإنهم معترفون بأن موسى – عليه السلام – قلب العصا ثعباناً، وهل إحياء الميت إلا عبارة عن اتصاف الجماد بالحيوانية ؟ بل هذا أدُّل على المعجز؛ لأن جعل ما لم يتصف بالحياة قط حياً؛ أولى على القدرة من إعادة الشيء إلى حالته الأولى"[١١]، ويقول الفخر الرازي: "إن قلب العصا حية أبعد في العقل من إعادة الميت حياً ... فإذا لم يوجب قلب العصا كون موسى إلهاً وابناً للإله، فبأن لا يدل إحياء الموتى على الإلهية كان ذلك أولى"[١٢].

---

(١) (يوحنا) ١١: ٤٤.
(٢) (لوقا) ٧: ١٥.
(٣) (مرقس) ٥: ٤٢.
(٤) (حزقيال)٢٧: ٣– ١٠.
(٥) جاء في (سفر الملوك) ١٧: ١٧ – ٢٤: أنه دعا الله أن يحيي ولد الأرملة، فرد الله الروح إليه.
(٦) راجع (الملوك الأول) ١٧: ٢٢.
(٧) راجع (الملوك الثاني) ٤: ٣٧.
(٨) راجع (الملوك الثاني) ١٣: ٢٠ – ٢١.
(٩) جاء في رسالة (أعمال الرسل) ٩: ٣٦ – ٤٢: أن بطرس أحيا تلميذة اسمها (طابيثا).
(١٠) جاء في (رسالة أعمال الرسل) ٢٠: ٧ – ١٢: أن شابًا اسمه (أفتيخوس) سقط من الطابق الثالث وهو نائم، فنزل بولس ووقع عليه واعتنقه، فقام الفتى.
(١١) (الرد الجميل): ص ٢٨ – ٢٩.
(١٢) (التفسير الكبير): ٣/ ٢٤٧.

ومن الغريب حقاً: أن هذه الآيات لم تحمل إلا قلة من اليهود إلى الإيمان به – عليه السلام –، وكانوا ينسبون هذه الخوارق إلى الشيطان[(١)]، بل إن كثيراً من تلاميذ المسيح ارتابوا في معجزاته، وتشككوا في مصدرها ولم يعودوا يمشون معه[(٢)]، وعلى ذلك لا ينبغي الاحتجاج بمعجزاته – عليه السلام – بأنه إله، فقد أجرى الله المعجزات وإحياء الموتى على أيد رسله وصفوة خلقه.

رابعاً: هذا التصور دخل إلى النصرانية عن طريق الوثنية، يقول برنابا في إنجيله: "وكان جيش الرومان في ذلك القوت في اليهودية؛ لأن بلادنا كانت خاضعة لهم بسبب خطايا أسلافنا، وكانت عادة الرومان أن يدعوا كل من فعل شيئاً جديداً فيه نفع للشعب إلهاً ويعبدونه، فلما كان بعض هؤلاء الجنود في نايين وبخوا واحداً بعد الآخر قائلين: لقد زاركم اليوم أحد آلهتكم، وأنتم لا تكترثون له، وحقاً لو زارتنا آلهتنا لأعطيناهم كل مالنا، فوسوس الشيطان بهذا الأسلوب من الكلام حتى أنه أثار شغباً بين شعب نايين، .... فقال قوم منهم: إن الذي زارنا إنما هو إلهنا"[(٣)].

ويؤكد ما قاله برنابا في إنجيله ما جاء في أعمال الرسل من أن بولس عندما شفى رجلاً عاجزاً في بلدة لسترة اعتقد البسطاء والوثنيون أنهما إلهين: "وَكَانَ يَجْلِسُ فِي لِسْتْرَةَ رَجُلٌ عَاجِزُ الرِّجْلَيْنِ مُقْعَدٌ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، وَلَمْ يَمْشِ قَطُّ. هذَا كَانَ يَسْمَعُ بُولُسَ يَتَكَلَّمُ، فَشَخَصَ إِلَيْهِ، وَإِذْ رَأَى أَنَّ لَهُ إِيمَاناً لِيُشْفَى، قَالَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ:«قُمْ عَلَى رِجْلَيْكَ مُنْتَصِباً!». فَوَثَبَ وَصَارَ يَمْشِي. فَالْجُمُوعُ لَمَّا رَأَوْا مَا فَعَلَ بُولُسُ، رَفَعُوا صَوْتَهُمْ بِلُغَةِ لِيكَأُونِيَّةَ قَائِلِينَ: «إِنَّ الآلِهَةَ تَشَبَّهُوا بِالنَّاسِ وَنَزَلُوا إِلَيْنَا». فَكَانُوا يَدْعُونَ بَرْنَابَا «زَفْسَ» وَبُولُسَ «هَرْمَسَ» إِذْ كَانَ هُوَ الْمُتَقَدِّمَ فِي الْكَلاَمِ. فَأَتَى كَاهِنُ زَفْسَ، الَّذِي كَانَ قُدَّامَ الْمَدِينَةِ، بِثِيرَانٍ وَأَكَالِيلَ عِنْدَ الأَبْوَابِ مَعَ الْجُمُوعِ، وَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحَ. فَلَمَّا سَمِعَ الرَّسُولاَنِ، بَرْنَابَا وَبُولُسُ، مَزَّقَا ثِيَابَهُمَا، وَانْدَفَعَا إِلَى الْجَمْعِ صَارِخَيْنِ وَقَائِلِينَ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ، لِمَاذَا تَفْعَلُونَ هذَا؟

---

(١) راجع (متى) ١٢: ٢٣– ٢٤، و(مرقس) ٣: ٢٢، و(يوحنا) ٣: ٨: ٤٨.

(٢) راجع (يوحنا) ٦: ٦٦.

(٣) (برنابا) ص ٢٦– ٢٧.

نَحْنُ أَيْضاً بَشَرٌ تَحْتَ آلَامٍ مِثْلُكُمْ، نُبَشِّرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا مِنْ هذِهِ الأَبَاطِيلِ إِلَى الإِلهِ الْحَيِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا"(١).

الشبهة السادسة: استدل النصارى على عقيدة التثليث بما جاء في الإنجيل "فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ"(٢)

الرد: يمكن تفنيد هذه الشبهة من وجوه:

أولاً: إذا أمعنا النظر في هذا النص فإننا لا نجد فيه ما يدل على أن الله جوهر واحد من ثلاثة أقانيم، بمعنى يختلف عن المفهوم البشري للجوهر والأقنوم، بل لا نجد فيه ما يشير أصلاً إلى أي من مفهوم الجوهر والأقنوم، وكل ما فيه من دلالات ومعانٍ إنما ينحصر في إيراد ثلاثة أسماء هي: الأب والابن والروح القدس، دون وجود ما يدل على أن هذه الأسماء هي آلهة.

ثانياً: بعض مفسري الكتاب المقدس لهم تحفظات حول هذا النص، ويؤكد الأب سليم سترس من الطائفة الكاثوليكية أن مفسري الكتاب المقدس يرجحون أن هذا النص في (إنجيل متى) "وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ"، قد وضعها كاتب هذا الإنجيل على لسان يسوع المسيح، بينما هي في الواقع ليست من كلامه، بل هي موجز الكرازة - أي الموعظة - التي كانت تعدّ الموعوظين للمعمودية في الأوساط المسيحية اليونانية(٣).

ثالثاً: هذا النص ادخل في الإنجيل لاحقاً؛ لأن التثليث وألوهية المسيح - عليه السلام - لم تقرر إلا في القرن الرابع الميلادي، ففي مجمع نيقية ٣٢٥م قرر ألوهية المسيح، ولم تقرر ألوهية روح القدس إلا في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م، مما يؤكد أن هذه العبارة أضيفت إلى الإنجيل بعد ذلك(٤).

---

(١) (أعمال الرسل) ١٤: ٨ - ١٥.
(٢) (متى) ٢٨: ١٩.
(٣) راجع (اللاهوت المسيحي) سليم بسترس ٢/ ٤٨. نقلاً عن (المسيحية والإسلام) لينة الحمصي: ص ٩٣- ٩٤.
(٤) راجع (الميزان في مقارنة الأديان) محمد عزت الطهطاوي: ص ٢٨٨.

الخاتمة

إن جميع ما ذكره القرآن الكريم عن السيد المسيح – عليه السلام – يؤكده العهد الجديد والدراسات الحديثة، من ذلك:

- ما قاله القرآن الكريم حول بشرية المسيح – عليه السلام – ورسالته تؤكدة نصوص كثيرة في الأناجيل، والدراسات الحديثة، وهذا دليل على هيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة.
- أن السيد المسيح – عليه السلام – كان إنساناً ولم يكن إلهاً، ولا ابن لله – تعالى الله عن ذلك –.
- القول بألوهية المسيح قول مستحدث في النصرانية في القرون التالية لميلاد المسيح – عليه السلام –.
- شبهات النصارى التي يستدلون بها على ألوهية المسيح كلها باطلة لا تقوم على أدلة صحيحة.

المصادر والمراجع

- **أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية/** محمد بن صفي الدين الحنفي، تحقيق عبدالرحمن بن محمد سعيد دمشقية، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **الأديان في القرآن/** محمود بن الشريف، القاهرة: دار المعارف بمصر، ط٤، ١٩٨٠م
- **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام/** على عبدالواحد وافي، القاهرة: دار نهضة طباعة مصر للطباعة و النشر، بدون تاريخ.
- **الإسلام والأديان دراسة مقارنة**/مصطفى حلمي، الإسكندرية: دار الدعوة، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- **اسم نبي الإسلام في إنجيل عيسى عليه السلام/** أحمد حجازي السقا، القاهرة: مكتبة المطيعي.
- **إظهار الحق/** رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرواني العثماني الهندي، دراسة وتحقيق، الدكتور محمد أحمد محمد عبدالقادر ملكاوي، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- **الله واحد أم ثالوث/** محمد مجدي مرجان، القاهرة: مكتبة النافذة، ط٢، ٢٠٠٤م.
- **إنجيل برنابا/** ترجمة خليل سعادة، الطبعة الأصلية على نفقة مطبعة المنار.
- **بحوث في مقارنة الأديان/** محمد عبدالله الشرقاوي، القاهرة: دار الفكر العربي،١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- **تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن/** محمد بن جرير الطبري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين/** عبدالرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- **التفسير الكبير/** محمد بن عمر الرازي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- **الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل/** محمد بن محمد الغزالي، ضبط نصه وعلق عليه الداني بن منير آل زهوي، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني /** محمود الآلوسي البغدادي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/١٩٩٣م.
- **سنن ابن ماجة/**محمد بن يزيد القزويني، ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث.
- **صحيح البخاري/** محمد بن إسماعيل البخاري، استانبول: المكتب الإسلامي.
- **طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون/** أحمد عبدالوهاب، القاهرة: مكتبة وهبة،١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- **عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية/** حسني يوسف الأطر، مصر: دار الأنصار، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- **عيسى المسيح والتوحيد عرض تاريخي للمسيحية والأناجيل والموحدين المسيحيين الأوائل والآواخر/** محمد عطا الرحيم، ترجمة عادل محمد حامد، مركز الحضارة العربية.
- **غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام اليهودية، المسيحية، المجوسية/** فتحي محمد الزغبي، تقديم بركات عبدالفتاح دويدار، القاهرة: دار المعارف، ط ١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- **الفارق بين المخلوق والخالق/** عبدالرحمن الباجة جي زاده، تصحيح

ومراجعة عبدالمنعم درويش، الإمارات العربية المتحدة: وزراة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- **الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم: دراسة تارخية دينية سياسية اجتماعية/** سعد رستم، دمشق: دار الأوائل للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٥م.

- **الفصل في الملل و النحل والأهواء والنحل/** علي بن أحمد بن حزم الظاهري، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ط/٢، أعيد طبعه بالأوفست، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

- **في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام/** محمد عزت الطهطاوي، القاهرة: مكتبة النور، ط٢، ١٩٨٦هـ.

- **قاموس الكتاب المقدس/** هيئة التحرير بطرس عبدالملك، وجون الكساندر طمسن، وإبراهيم مطر، بيروت: مكتبة المشعل، بإشراف رابطة الكنائس الانجيلية في الشرق الأوسط، ط٦، ١٩٨١م.

- **الكتاب المقدس/** ترجم من اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، بدون تاريخ.

- **ما هي النصرانية/** محمد تقي الدين العثماني، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامية.

- **محاضرات في النصرانية/** محمد أبو زهرة، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط٤، ١٤٠٤هـ.

- **محمد رسول الله ﷺ في الكتب المقدسة عند النصارى واليهود والهندوس والصابئة والبوذيين والمجوس/** سامي عامر، القاهرة: مركز التنوير الإسلامي، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

- **المسيح إنسان أم إله/** محمد مجدي مرجان، القاهرة: مكتبة النافذة، ط٢، ٢٠٠٤م.

- **المسيحية عبر العصور: تاريخ الكنيسة المسيحية/** إيل كيرنز، ترجمة عاطف سامي برنابا، دار نوبار للطباعة، ١٩٩٢م.
- **المسحية نشأتها وتطورها/** شارل جنيبيبر، ترجمة عبدالحليم محمود، صيدا: المكتبة العصرية.
- **المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى/** لينة الحمصي، دمشق: دار العصماء، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.
- **المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون/** إ. س. سفينسيسكايا، ترجمة حسان ميخائيل إسحاق، دمشق: دار علاء الدين، ط٢، ٢٠٠٧م.
- **معالم تاريخ الإنسانية**/ ويلز، ترجمة عبدالعزيز جاويد، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.
- **الملل والنحل/** محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، مطبوع بهامش الفصل في الملل والأهواء و النحل، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ط٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- **موسوعة تاريخ الأقباط/** زكي شنودة، القاهرة: مطابع البلاغ، ط٢، ١٩٦٨م.
- **الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق/** محمد عزت الطهطاوي، دمشق: دار القلم، وبيروت: الدار الشامية، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- **النصرانية من التوحيد إلى التثليث/** محمد أحمد الحاج، دمشق: دار القلم، وبيروت: الدار الشامية، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى/** محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق عثمان جمعة ضميرية، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٩ هـ.
- **هذه سبيلي/** مجلة سنوية متخصصة يصدرها المعهد العالي للدعوة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد السادس، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.